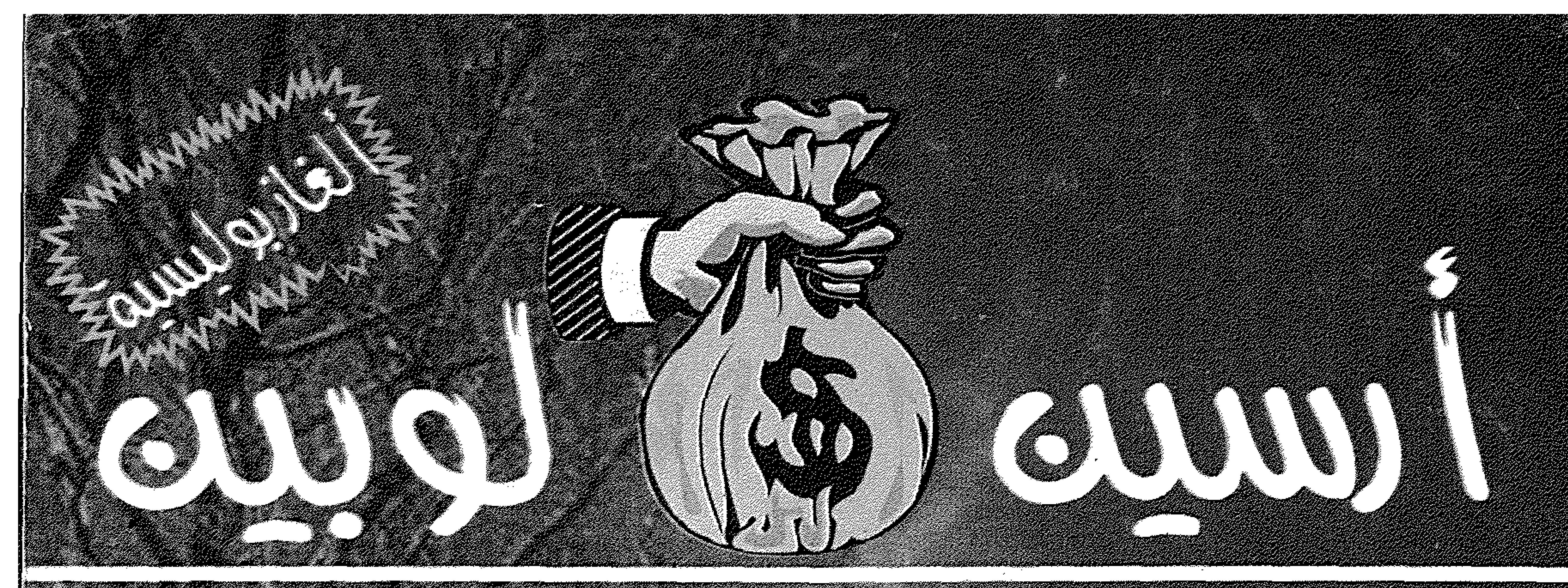


لغز القصر المهجور

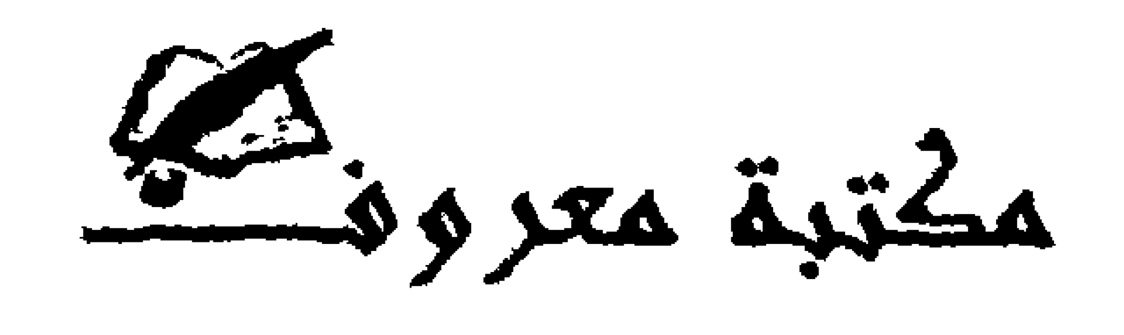
مكتبة معروف

أمل مدني

أرسين لوبين

لغز القصر المهجور

محمد عبد المنعم جلال



الإسكندرية، ٤٨١٠٨٢٨ / ٤٨٤٦١٢٥ فاكس ٤٨٦٠٠٨٩
القـــاهرة، ٣٦١١٢٢٩ ص.ب ١٢٧٠ الإسكندرية

١ اختطاف ريجين

قوبلت الفكرة الظريفة أحسن استقبال من باريس السخية التى تقرن طواعية بين ملاهيها وحفلاتها الخيرية ، وكانت تلك الفكرة تقوم على ظهور عشرين إمرأة جميلة ، من الوسط الفني أو الاجتماعي ، على خشبة مسرح الأوبرا وهن يعرضن أزياء من تصميم اكبر بيوت الأزياء ، على أن يختار المشاهدين أحسن ثلاثة أزياء منها ، ويوزع إيراد تلك الحفلة على بيوت الأزياء الثلاثة التي ابتكرتها ، وتقديم رحلة من خمسة عشر يوماً إلى الريفييرا لعدد من الحائكات .

أثارت الفكرة الاهتمام على الفور، وبعد ثمان وأربعين ساعة امتلأت صالة المسرح عن آخرها ، وأسرع الجمهور الى الصالة يحدوه الفضول .

والواقع ان كل الظروف ساهمت فى أن يتركز ذلك الفضول فى نقطة واحدة ، وأن يدور الحديث حول موضوع واحد جعل للحديث مادة لا تنضب فقد علم الجميع أن ريجنى أوبرى ، وهى مطربة ناشئة ولكنها فائقة الجمال ستظهر فى تلك المناسبة وهى ترتدى ثوباً من تصميم فالمينيه ، وفوقه جاكيت رائعة مرصعة بأجمل الماسات النفيسة .

وازداد اهتمام الجمهور بسبب مسألة مثيرة جداً ، وهو أن الفاتنة ريجيني أوبري يلاحقها منذ شهور الجوهري الثري فان هوبن ، فهل استسلمت لغرامه وهو المعروف بأنه امبراطور الجوهريين ؟..

كان كل شئ يدل على ذلك ، وفي حديث صحفي لها في الليلة السابقة للحفلة ردت على سؤال قائلة :

– سأرتدي غداً ثوبا مرصعاً بالماس ، وهناك في غرفتي في هذه اللحظة أربعة من العمال ، اختارهم فان هوبن بنفسه ، يعلقونها علي جاكيت من الفضة ، وفالمينيه هناك يشرف على العملية .

وكانت ريجيني تجلس الآن في المقصورة التي خصصت لها بالمسرح في انتظار دورها ، وكان الجمهور يمر أمامها في اعجاب واهتمام شديدين كما لو أنها ربة من ربات الجمال ، والحق أنه كان لها تلك الموهبة الرائعة التي يقرنونها دائما باسمها ، فقد كان وجهها ينم بصورة فريدة عن الأصالة والطهارة والجمال الاغريقي القديم الذي لا يزال يفتننا ويسحرنا حتى اليوم كانت تغطي كتفيها بمعطف من الفرو النفيس ، ويخفي الجاكيت الآنفة الذكر ..

وقد انتدب ثلاثة من أمهر رجال البوليس السري لحراسة المقصورة التي تجلس فيها ..

ووقف في داخل المقصورة رجلان ، أحدهما الجواهري المليونير فان هوبن وهو رجل أحمر الوجه منتفخ الأوداج كان يمارس في بدء حياته تجارة الأحجار الزائفة ، ثم احتجب في رحلة طويلة عاد بعدها الي الظهور غنياً بل من كبار الأغنياء دون أن يدري أحد سر هذا التبدل الغريب الذي

غير حياته تغييراً جوهرياً ، أما الآخر فهو جان دنريس المشهور ، وهو شاب قوى البنية وسيم الوجه ، طاف حول العالم وحيداً في زورقه البخارى منذ ثلاثة أشهر ، وقد تعرف به فان هوين فى الأسبوع المنصرم ،وقدمه الي ريجينى ..

مرت الرقصة الأولى فى برنامج الحفلة دون أن يعيرها أحد من الجمهور اهتماماً خاصاً ، وتأهبت ريجينى للخروج فى أثناء الاستراحة ، فوقفت لدى باب المقصورة تتجاذب أطراف الحديث مع رفيقيها ، فجعلت تخاطب فان هوين بلهجة تهكمية ، بينما أقبلت على التحدث مع دنريس بلهجة رقيقة كانما كانت تعمل على إثارة اعجابه .

والظاهر أن هذه المعاملة ساءت فان هوين ، فانه لم يتمالك أن قال :

– اصغ الى يا دنريس ، فسأسديك نصيحة ثمينة ، حذار أن تسيطر هذه المرأة على عقلك ، فقد سلبتني رشدى ، وصرت الآن فى حالة من الشقاء تستوجب الرثاء .

وعقب انتهاء فترة الاستراحة ، بدأت مباراة عرض الأزياء فأخذت المتنافسات يظهرن على خشبة المسرح ، عارضات ثيابهن كما تفعل عارضات الأزياء .

ولما حان دور ريجينى نهضت قائلة :

– اننى أشعر باضطراب ، لاريب انى سأنتحر اذا لم أفز بالجائزة الأولى من تنتخب يا مسيو دنريس ؟.

أجاب الشاب وهو ينحني أمامها فى شئ من الاحترام :

– سأنتخب أجمل سيدة .

– انني لا أتحدث عن الجمال وإنما عن الأزياء .

– لست أحفل بالزى ، وانما أحفل بجمال الوجه ورشاقة الجسم .

– اذن تمتع بهاتين الصفتين فى شخص الفتاة التى يصفقون لها الآن ، انها إحدى عاملات محل شرنتز ، وقد تحدثت عنها الصحف ، وأطنبت فى إطراء جمالها ورشاقتها .

فنظرجان دنريس الى قائمة البرنامج وسأل الفتاة قائلاً :

هى ارلت ماترول ، أليس كذلك ؟..

أجابت ريجينى فى لهجة بريئة من الحسد والغيرة :

– أجل ، ولو كان ذلك بامكانى لما ترددت فى منحها الجائزة الأولى .

فصاح فان هوين ساخطاً :

– وثوبك يا ريجينى ، ماقيمة ثوبها بجانب جاكتتك المرصعة ، ولذلك أرجوك أن تلزمى جانب الحذر .

– ممن ؟.

– من اللصوص ، وتذكرى ان جاكتتك ليست مرصعة بقشور السمك .

وضحك فابن هوين وقال جان دنريس مؤيداً :

– ان فان هوين على حق ، ويجدر بنا أن نرافقك .

ولكن الفتاة اعترضت قائلة :

– كلا فاننى أحب أن تطلعانى على التأثير الذى سيحدثه مظهرى فى نفسيكما اثناء وقوفى على خشبة المسرح .

- ان المفتش بيشو يتكفل بكل شئ ..

لاحت دلائل الاهتمام على وجه دنريس وقال :

- اذن فأنت تعرف بيشو ؟.. مفتش البوليس الذى اشتهر بمعاونته لجيمس بارنيت ، صاحب مكتب بارنيت وشركاه .

- آه يحسن بك ان لا تتحدث أمامه عن المدعو بارنيت ، فان مجرد ذكر اسمه يكاد يخرجه عن صوابه ، فيلوح لى أن بارنيت هذا لعب معه دوراً خبيثاً .

- أجل ، وقد سمعت شيئاً من هذا القبيل ، أعنى قصة عقد اللؤلؤ ورسالة غرام الملك جورج .. اذن فبيشو يتولى حراسة جواهرك ..

- نعم وقد سافر فى مهمة خاصة ، ولكنه انتدب ثلاثة من أقوى وأمهر معاونيه ، وهم يقفون خارج الباب ..

- اعلم أنه لو ترك وراءه فرقة كاملة فان هذا لا يكفى لاحباط حيل بعض اللصوص .

ولم تلبث ريجينى أن غادرت المقصورة ، وابتعدت يتبعها رجال البوليس الثلاثة ، ثم انعطفت الى داخل الكواليس ..

ولما حل دورها فى الظهور على خشبة المسرح ساد الحضور صمت عميق وشخصت الأبصار ، وفجأة تعالى الهتاف والتصفيق من كل ناحية ، وتقدمت ريجينى .

كانت فاتنة الجمال ، لكن الجمال الرائع اذا اقترن بالأناقة الأخاذة خلص منهما مزاج يملك القلوب ويبهر الأبصار ، فلا غرو اذا أخذ الحضور بسحر

جمالها وأناقتها ، ولا عجب اذا زاغت العيون بتأثير تلك الأضواء المنعكسة من الأحجار الكريمة التى ترصع جاكتتها، ولم يتمالك فان هوبن أن هتف قائلاً :

– يا الهى ! هذا أبدع وأروع مما كنت أتوقع ، انها تبدو بهذه الماسات كأنها امبراطورة ..

وظللت وجهه سحابة قاتمة وقال :

– سأبوح لك بسرى يا دنريس ، أتدري لم رصعت صدر ريجينى بهذه الأحجار الثمينة ؟ اننى سأهديها اياها يوم تعطينى يدها .

وأمسك دنريس بذراعه فى هذه اللحظة وهتف قائلاً :

– صه ..

– ويحك .. ماذا حدث .

– انني أرى شيئا غير عادي بين الكواليس .

فتطلع فان هوبن الى ناحية الكواليس ثم قال :

– لا أري شيئاً يستلفت النظر ..

ولكنه لم يكد يتم عبارته حتى ساد الهرج والمرج صفوف المسرح الأمامية ونهض بعض الجالسين من مقاعدهم وقد ارتسمت على وجوههم أمارات الذعر والهلع ، وأسرع رجلان الي خشبة المسرح ، وفجأة تعالت الصيحات من كل جانب ، وهتف أحد موظفى المسرح قائلاً :

– النار .. النار ..

وانبعث ضوء وهاج من ناحية الكواليس اليمنى ، وانتشرت سحابة من

الدخان فوق خشبة المسرح ، فخف الموظفون من كل جانب ومعهم رجل ظهر من الجهة اليمنى يحمل بين يديه معطفاً من الفرو يخفى وجهه ، وهتف قائلا :

– النار .. النار ..

همت ريجيني أن تنجو بنفسها من خطر الحريق ، لكن قواها خذلتها فهوت على الأرض مغشياً عليها ، فدنما منها الرجل ولفها بالمعطف وحملها علي كتفيه وعاد بها من حيث أتي ..

على أن دنريس كان قد تمالك جأشه لدي ظهور ذلك الرجل علي خشبة المسرح ، فانحنى فوق حافة المقصورة ، وصاح في جمهور النظارة باعلى صوته قائلا .

– لا تتحركوا ..

ثم لوح بيده الى الرجل الذى حمل ريجينى وهتف قائلاً :

– اقبضوا عليه .. امسكوه ..

لكن صوته لم يبلغ مسامع الجمهور الذى تعالى هياجه ، واختفى الرجل دون أن ينتبه إليه أحد .

قفز دنريس الى الأرض وتقدم بسرعة الى خشبة المسرح فاعتلاها وتبع الطريق الذى سلكه الرجل حتى بلغ الباب المعد لخروج الممثلين بشارع هوسمان ، فتلفت حوله بيد أنه لم يبصر له أثرا ، وراح يستفسر عن الرجل لكن لم يستطع أحد أن يرشده إليه فقد ساد الهرج والمرج ، وكان الجميع لا يفكرون الا في المبادرة الى النجاة من خطر الحريق وفى اخماد النار .

ولما عاد التقى فى طريقه بفان هوبن فرآه يلهث وقد تصبب جبينه عرقاً ، فابتدره قائلاً .

- انها خطفت بسبب جواهرك ، لاريب ان خاطفها قد حملها في سيارة كانت معدة لهذا الغرض .

فأخرج فان هوبن مسدسه من جيبه ، فقال دنريس :

- أتريد أن تنتحر ؟.

- كلا ، بل أريد أن أقتل ذلك اللص ، انهم سيقبضون عليه بل يجب أن يقبضوا عليه ..

وجعل يدور حول نفسه كمن أصيب بالخبل وراح يصيح :

- جواهرى .. هذا فظيع .. أين العدالة ..ان الحكومة مسئولة .

* * *

لم يخدع دنريس فقد حمل الرجل المجهول ريجينى أوبرى ، واجتاز بها شارع هوسمان ، ثم انعطف الى شارع موجادور حيث وقفت سيارة بانتظاره ، وما كاد يدنو منها حتى فتح بابها وبدت بداخلها امرأة على وجهها نقاب رفيع بسطت يديها إليه فناولها ريجينى قائلا :

- اننى أفلحت .. وانها لمعجزة حقاً .

ثم أغلق الباب وصعد الى مكان القيادة ، وانطلقت السيارة تنهب الأرض نهباً .

عادت المغنية الحسناء الي رشدها ، وأول ما جال بخاطرها هو أن تشكر منقذيها ، ولكنها ما كادت تتحرك حتى أحست بغلالة رقيقة حول رأسها

فغمغمت قائلة :

– ماهذا ؟..

أجابها صوت نسوى رقيق :

– لا تتحركى .. اذا استنجدت بأحد فالويل لك ..

وأحست ريجينى بوخز خفيف في كتفها جعلها تصيح ألما ، فقالت المرأة .

– لا تجزعى ياعزيزتى ، هذا طرف سكين لا غير ، أتحبينى أن أضغط؟..

لم تتحرك ريجينى ، وانما راحت تستعرض فى ذهنها حقيقة الموقف فتذكرت الدخان الذى شاهدته أثناء وقوفها على خشبة المسرح ، وفكرت قائلة :

– اننى خطفت ، وقد خطفنى رجل أثناء الهرج الذى ساد ، وهو يفر بى الآن بمساعدة شريكته .. وتحسست ثيابها بأصابعها فالقت الجاكيت كما هى .

كانت السيارة تنطلق بسرعة ، وشعرت ريجينى بأنها تنعطف فى طرقات كثيرة متعرجة ، فأدركت ان السائق يعمد الى ذلك إفلاتا من المطاردة ..

على أنه خيل إليها مع ذلك أن السيارة لم تخرج من باريس ، فقد كانت أنوار المصابيح الكهربائية تتتابع على مسافات متقاربة وتملأ السيارة بضوء خافت ..

ولم تلبث المرأة أن خففت قبضتها قليلاً ، فتطلعت ريجينى اليها

واستطاعت أن تتميز في الضوء الخافت المتعاقب اصبعين من أصابع المرأة فاذا في أحدهما خاتم نو ثلاث لآلئ بديعة نسقت على هيئة مثلث ..

مضت عشرون دقيقة والسيارة منطلقة في سيرها السريع وأخيراً وقفت فجأة ، ونزل الرجل من مكانه ، فسمعت ريجيني صوت باب يفتح ، وما لبثت السيارة أن تقدمت الى فناء داخلي ..

ونزلت المرأة من السيارة وعاونت ريجيني على النزول ، وارتقى الثلاثة بضع درجات أفضت بهم الى دهليز مرصوف بالبلاط الأبيض والأسود وصعدوا سلماً مغطى ببساط سميك ، وتقدم الرجل الى غرفة بالطابق الأول وهمس في أذن ريجيني قائلاً :

هانحن قد وصلنا ، انني لا أميل الي الغلظة أو العنف .. ولن أصيبك باذى اذا تخليت عن الجاكيته ، فهل أنت فاعلة ؟..

أجابت ريجيني علي الفور في لهجة حادة :

– كلا ..

هتف الرجل قائلا :

– انني خاطرت بكل شئ في سبيلها ، فلا تقاومي .

ومد يدا غليظة محاولا أن ينزع عنها المعطف ، وأحست ريجيني لمجرد ملامسته لها برعشة تسري في كيانها وانتابها ذعر شديد وصاحت :

– لا تلمسني .. انني امنعك ، ها هي .

ارتد الرجل الى الخلف بضع خطوات ، وخلعت ريجيني المعطف ثم الجاكت وألقت بها إليه ، ورفعت الغلالة التي كانت تحجب وجهها ، وتهالكت

فى إعياء فوق أحد المقاعد ، وراحت تجيل بصرها فيما حولها ، فرأت المرأة المقنعة ترتدى ثوباً رمادى اللون ذا خطوط سوداء ، ورأتها تنزع الجواهر التى ترصع الجاكتة .

كانت هذه الغرفة فسيحة تضيئها ثريتان بديعتان ، وقد صفت بها مقاعد وثيرة مكسوة بالحرير الأزرق ، وفرشت أرضها بأبسطة سميكة فاخرة وانتشرت بها بعض المناضد وقطع الأثاث التي يرجع تاريخها إلي عهد لويس السادس عشر ، وأقيم على قاعدة الموقد تمثالان بديعان من البرونز وساعة نصبت فوق عامود قصير من المرمر الأخضر ، وعلقت بالجدران أربع لوحات فنية رائعة .

وما أن فرغت المرأة من انتزاع الجواهر من الجاكت حتى ساد الظلام فجأة ، وسمعت ريجينى صوت الرجل يقول :

– هذا جميل انك أحسنت صنعاً بعدم المقاومة ، سنعيدك الآن من حيث جئت ولك أن تستردى معطفك .

وأعيدت الغلالة فوق رأسها ، ثم اقتيدت الى السيارة ، فانطلقت بسرعة كبيرة وجعلت تنعطف فى طرقات كثيرة متعرجة ..

ووقفت السيارة أخيراً ، ففتح الرجل بابها وأنزل ريجينى منها ، وقال لها

– ها أنت قد وصلت دون أن يصيبك أقل أذى ، وأنصحك أن لا تنطقى بكلمة واحدة عما رأيت ، تذكرى فقط أن جواهرك سرقت ، وانسى كل شئ آخر ..

وعلى أثر هذه العبارة انطلقت السيارة بسرعة فرفعت ريجينى الغلالة عن رأسها وألقت نفسها فى ميدان التروكادير ، ولما كان مسكنها يقع على

مسافة قصيرة فقد تحاملت على نفسها وأخذت تسير متجهة إليه ، وإن هي إلا لحظة حتى ألقت نفسها بين ذراعى جان دنريس ، وأجلسها الشاب على مقعد فى الشارع المقفر وقال :

– لقد انتظرتك ، وكنت علي يقين انهم سيعيدونك بعد أن يسرقوا جواهرك ، فان الخطر ان يحتفظوا بك لديهم ، استريحى وهدئى أعصابك ..

انحدرت دموعها ، وشعرت باطمئنان الى هذا الشاب الذى لم يمض على تعارفها به وقت طويل وقالت له .

– كنت خائفة ، وما زال الخوف يملك علي نفسى حتي الآن ..

وبعد أن هدأ روعها قليلاً رافقها الى البيت ، ثم الى غرفتها وهناك وجد الخادمة قد عادت من المسرح وهى فى حالة من الخوف يرثى لها ، ولم يكد يستقر بهما المقام حتى أقبل فان هوين ، جاحظ العينين ، وصاح .

– جواهري ..هل عدت بها يا ريجينى ؟.. هل دافعت عنها حتى الموت؟..

ولما لم ير للجاكتة المرصعة بالأحجار الكريمة أثرا استولى عليه جنون مطبق ، واحتبس صوته فقال جان دنريس فى حزم :

– صه ، ألا ترى انها بحاجة الى الراحة ؟..

وعاد فان هوين يقول في شبه جنون :

– جواهرى .. سرقت .. آه ..ليت بيشو كان هنا .. جواهرى ..

– سأعيدها إليك يا هذا .. ولكن أغرب عن وجهى الآن

وكانت ريجينى قد تهالكت علي مقعد وراحت تبكى فدنا دنريس منها

وراح يلثم جبينها وشعرها ، فاشتد جنون فان هوبن وصاح :

– هذا لا يطاق .. ماذا تفعل يا رجل ؟..

أجابه جان دنريس :

– لا شئ هذا علاج يسير يعيد إليها هدوء الاعصاب ، وأستأنف مهمته المدتعة فى حين كان فان هوبن يتميز غيظاً ويكاد يفقد رشده من تاثير ما أصابه وما يري أمام عيناه ..

أما ريجينى فقد أخذت تستعيد هدوءها شيئاً فشيئاً ..

***

٢ أرليت

انقضت ثمانية أيام على حادث مسرح الأوبرا ، واجتمعت عاملات محل شرتنر فى غرفتهن الخاصة بعد الظهر عقب انصراف العملاء ، وأخذت ارليت مازول ، تتجاذب وإياهن الحديث ،وقالت إحداهن :

- كنت محظوظة حقاً يا أرليت حين حصلت على الجائزة الأولى فى مسابقة الأزياء .

قالت ارليت :

- لم أكن استحقها ، فقد كانت من نصيب ريجينى اوبري ..

- لاريب ان ريجينى حانقة عليك الآن .

- كلا ، فقد أتت لرؤيتى أمس وهنأتني لحصولى على الجائزة ..

وتناولت احدى العاملات صحيفة كانت على منضدة قريبة ، وما كادت تلقى عليها نظرة حتى قالت :

- انها تتحدث عن سرقة الجواهر .

وأخذتها أرليت منها وقرأت :

– لا يزال التحقيق جارياً فى حادث الأوبرا ويعتقد رجال البوليس انه قد دبر عمدا لسرقة جواهر ريجينى أوبرى ، على انهم لا يعرفون عن أوصاف المعتدى أى شئ ، فقد كان يخفى وجهه بالمعطف ، ولكن المظنون أنه هو ذلك الشخص الذى قدم الى دار الاوبرا حاملاً بعض باقات الزهور ، ووضعها قرب أحد الأعمدة ، وقد قررت الخادمة انها شاهدته ولاحظت انه يلبس حذاءً لامعاً ، ولا ريب أنه أشعل النار فى باقات الزهور ثم انتهز فرصة الهرج الذى ساد على أثر الحريق المزعوم ، كما كان يتوقع واختطف المعطف من بين يدي الخادمة وقام بمهمته ، وقد سئلت ريجينى أوبري فلم تستطع أن تعين الطريق الذى سلكته السيارة ولم تستطع الادلاء أيضاً باوصاف اكيدة عن الرجل وشريكته ولا عن البيت الذى اقتيدت اليه ..

قالت احدى الفتيات عندما انتهت ارليت من قراءة النبأ :

– لو كنت مكان ريجينى أوبري لمت جزعاً أمام هذا الرجل وشريكته ، ماذا كنت تفعلين ياأرليت لو كنت أنت مكانها ؟..

– كنت أدافع عن نفسى باستماتة ، فاننى جريئة ..

– ولكن هل رأيت ذلك الرجل الذى اختطف ريجينى ؟..

– لم أراه جيدا ، فقد وقع بصرى على شبح يحمل شبحاً آخر ، فلم أحفل بهما لأننى كنت في خوف من الحريق ..

– ألم تري شيئاً آخر ؟..

– بل رأيت فان هوبن ، وكان يقفز هنا وهناك كأنما كانت الأرض تلهب قدميه وهو يصيح :

- جواهرى .. عشرة ملايين من الفرنكات ، هذا فظيع .

وفى هذه اللحظة فتحت مديرة المحل الباب وخاطبت ارليت قائلة

- التليفون يا أرليت .

وقفت ارليت فى الحال وقد شحب لونها وغمغمت :

- ان أمى مريضة .

ومضت الي الغرفة المجاورة حيث يوجد التليفون وسمعتها زميلاتها تقول أمي مريضة ؟. تشعر بألم فى قلبها من المتكلم ؟ أهو أنت يا مدام لوفان؟.. انني اعرف صوتك .. طبيب ؟ الدكتور بريكو بشارع مونتابور رقم ٣ ؟ هل خاطبته ؟ يجب أن أحضر بصحبته ؟ حسناً انى ذاهبة إليه ..

وتناولت ارليت قبعهتا من دولاب الملابس بيد ترتعد ، وخرجت مسرعة دون أن تلتفت الى رفيقاتها ..

وأسرعت الفتيات الى النافذة فرأينها تجري وتتطلع الى أرقام المنازل وفجأة كفت عن السير أمام بيت الي اليسار تقف بقربه سيارة ، ثم شاهدن رجلاً ينتظر علي الرصيف ، ولم يبد لهن منه من خلال الظلام الذى أخذ ينتشر رويداً غير حذائه اللامع .

وما لبث الرجل ان تقدم الى أرليت وبادلها بضع كلمات صعدت علي أثرها الى السيارة وتلاها الرجل ، ثم انطلقت السيارة وقالت احدى الفتيات

- هذه مسألة غريبة ، انني أمر كل يوم أمام البيت رقم ٣ ، ولم ار مرة بطاقة نحاسية تحمل اسم أحد الأطباء ، هل تعرف احداكن الدكتور بريكو

فهتفن معا :

– كلا ، ولكن في وسعنا أن نتحقق من ذلك لنفحص دفتر التليفون ..

وفحصت المديرة دفتر التليفون ولم تلبث أن قالت :

– لا يوجد في دفتر التليفون اسم الدكتور بريكو ..

وأسرعت المديرة الى صاحب المحل وأطلعته على الأمر ، فتناول سماعة التليفون ، وطلب رقما معيناً وانتظر هنيهة ثم قال :

– آلو .. هل اتحدث الى الآنسة ريجيني أوبري ؟.. هناك ما يحمل على الاعتقاد بأن ارليت مازول ، احدى عاملاتي ، قد اختطفت ، وان خاطفها هو نفس الرجل الذى اختطفك في تلك الليلة ، وقد رأيت أن هذا النبأ قد يهمك أنت وأصدقاؤك آلو ؟.. هل تنتظرين المفتش بيشو ؟ ، هذا حسن ، سآتي إليك فوراً وأدلي إليك بكافة التفاصيل .

***

وقع لارليت ما سبق أن وقع لريجيني ولكن بصورة أخرى ، إذ ألقت ارليت سيدة جالسة بداخل السيارة قدمها إليها الطبيب الزائف قائلا :

– مدام بريكو ..

وكانت تلك السيدة تحجب وجهها بنقاب ، غير ان الظلام كان قد انتشر فلم تحفل بها أرليت كثيراً لأن كل اهتمامها كان موجهاً الي أمها ..

وما أن انطلقت السيارة حتى راحت أرليت تلقي طائفة من الأسئلة على الرجل دون أن تتطلع اليه ، وقد قرر لها أن سيدة تدعى مدام لوفان استدعته لمعالجة جارة لها وسألته أن يقل في طريقه ابنة المريضة ، واعترف لها بأنه لا يعرف اكثر من ذلك .

وتقدمت السيارة فى شارع ريفولى متجهة الى ميدان الكونكورد ، وفيما كانت تجتاز الميدان ألقت المرأة فجأة غلالة حول رأس أرليت ، ثم وخزت كتفها بطرف سكين .

أخذت أرليت تقاوم فى بادئ الأمر ، لكن خوفها زايلها على الفور وشعرت بفرحة غامرة اذ ادركت ان أمها ليست مريضة وأن حديث المرض ما هو إلا حيلة قصد بها استدراجها الى الشرك الذى نصب لها ، وان لاختطافها سببا آخر لا يلبث أن ينكشف لها ، ورأت أن خير ما تتوسل به هو الاخلاد الى الهدوء والاعتصام بحبل الصبر والانتظار ..

ولاحظت مالاحظته ريجينى من قبل ، فقد أخذت السيارة تنعطف مراراً بيد أنها لم تلمح يد المرأة ، ولم تر الخاتم الذى رأته ريجينى ، ولم تلبث ان سمعت حديثاً خافتاً دار بين الشريكين وقد حسبا أنه لا يبلغ سمعها ، اذ قالت المرأة .

– انك شططت وتماديت هذه المرة ، فقد كان يجدر بك أن تنتظر بضعة أسابيع حتى ينسى الناس حادث الاوبرا ..

لم يخف على أرليت مغزى ما سمعت ، فقد أدركت أن خاطفيها هما خاطفا ريجينى قبلها ، وأن بريكو الزائف هو الذى أشعل النار فى باقات الزهور فى مسرح الأوبرا ، ولكنها عجبت مما يحمل هذا الرجل على اختطافها ، فليس لديها ما يغرى بالسطو عليه ، وهى لا تملك شيئا من الأحجار الكريمة ..

وما كادت تصل الى هذا الحد من تفكيرها حتى عاودها الهدوء والاطمئنان ، فقد أيقنت أن خاطفيها لا يلبثان أن يطلقا سراحها حين يخيب

ظنهما ولا يجدان معها ما يعللان النفس به .

وسمعت باباً يفتح ، وكانت تعرف ما وقع لريجيني ، فأدركت ان السيارة قد دخلت الفناء ، وأنزلتها المرأة منها وارتقت بها الدرجات القليلة ثم نفذ الجميع الي الدهليز المرصوف بالبلاط الأبيض والأسود ..

كانت ارليت ، في هذه الأثناء ، قد استعادت هدوءها ، ورباطة جأشها ، فخطر لها أن تحاول الفرار فانتهزت فرصة انشغال المرأة بالتحدث الي الرجل وهو يغلق باب الدهليز ، ورفعت الغلالة عن وجهها ، واندفعت الى الأمام فارتقت درجات السلم ودخلت في الغرفة التى أمامها وأغلقت بابها وراءها .

كان بالغرفة نور ضئيل ينبعث من مصباح كهربائى ، فلم تدر أرليت ماذا تفعل ولا كيف تتمكن من الفرار ، وراحت تعالج إحدى نافذتى الغرفة ولكنها لم تستطع ، وتسلل الخوف الي فؤادها وخشيت أن يفاجئها الشريكان وهي في مكانها ، ولم تلبث ان سمعت صوت أبواب تفتح وتغلق فأدركت انه لا مفر لها من الاختفاء ، وراحت تجيل بصرها فيما حولها في شئ من اليأس ورأت دولابا ضخماً قرب الموقد فلم تتردد لحظة ، بل جذبت احد المقاعد واستعانت به في الصعود الى الموقد ، ثم تشبثت بيديها في حافة الدولاب وأخذت ترفع نفسها حتى بلغت سطحه وتمددت فوقه ، وما كادت تفعل ذلك حتى فتح الباب ودخل الرجل وشريكته .

كان من أيسر الأمور أن يرفعا عيناهما فيشاهداها ، ولكنهما لم يفعلا ذلك ، وانما أخذا يفتشان تحت المقاعد وخلف الستائر ، وقال الرجل في آخر الأمر :

- لا يوجد أحد ،لا هنا ولا فى أى مكان آخر وهذه مسألة خطيرة فقد تتمكن من الهرب .

- وكيف يتسنى لها ذلك ؟.

- أنت على حق ، لا سبيل لها الى الفرار ، والويل لها اذا وقعت فى يدى

ثم أطفأ النور وخرج مع شريكته ، وكان ضوء القمر ينبعث من خلال النافذتين ، فدنت من احداهما ، ونظرت الي الخارج ، فشاهدت حديقة منبسطة فى نهايتها صف من الأشجار ، وعالجت النافذة حتى وفقت الى فتحها ..

وانحنت فوق حافة النافذة تقدر المسافة التى تفصلها عن الأرض فوجدتها لا تتجاوز مترين ، فلم تتردد ، وتسلقت الى الحافة ووثبت منها الى الحشائش دون أن تصاب بأذى ، وانتظرت قليلا حتى احتجب القمر خلف سحابة عارضة ثم اجتازت الحديقة بسرعة وانسلت الى الخارج ، وفيما هى تخرج ألقت نظرة الى الخلف فرأت شبحا يجرى وراءها فأخذت تعدو بسرعة ورأت الشبح يزداد اقترابا منها فضاعفت من سرعتها ، وانعطفت الى شارع آخر شاهدت فيه بعض المارة ، ومرت بها سيارة أجرة فاستوقفتها وركبتها وذكرت للسائق عنوانها ، وتطلعت من النافذة الخلفية فشاهدت عدوها الخفى يستقل سيارة اخرى .

وقطعت سيارتها عدة شوارع ، ولما وصلت الى ميدان كثير الحركة نقرت على الزجاج وقالت للسائق :

- قف هاك عشرين فرنكاً ، تابع طريقك بسرعة ، فانني أريد ان أفلت من شخص يطاردنى .

وغادرت السيارة وركبت سيارة اخري وذكرت للسائق عنوانها قائلة :

- مونمارتر .. شارع فردريك رقم ٥٥ ، وما كادت تنتهى من عبارتها حتى أغمى عليها .

ولما عادت الى رشدها ألقت نفسها على أريكة فى غرفتها والى جوارها شاب لا تعرفه ، وكانت أمها تنظر إليها فى قلق واشفاق ، فابتسمت ابتسامة خفيفة ، وهمت امها بالكلام ، بيد ان الشاب استوقفها قائلاً :

- لا تسأليها الآن يا سيدتى ، كلا ياآنسة لا تتكلمى اصغى الي أولا ، لقد اتصل مسيو شرتنر بريجينى أوبرى وقال لها انك خطفت وان ظروف اختطافك مماثلة لظروف اختطافها ، فابلغت صديقتى ريجينى البوليس فى الحال ، وأطلعتنى على الحادث فجئت إلى هنا وأمك فى الخارج تترقب قدومك ، فقد كنت أعتقد أنهم سيطلقون سراحك كما فعلوا مع ريجينى من قبل ، ولما أقبلت السيارة التى تقلك سألت السائق عن الجهة التى أتى منها فأخبرنى بأنها ميدان ڤيكتوار ، ولم يستطع أن يفضى إلى باكثر من ذلك ..

ودق الجرس فى هذه اللحظة ، فخرجت أمها وسمع الشاب صوتاً يقول صاحبه :

- أنا فان هوبن يا سيدتى ..

ودخل دون أن ينتظر اذناً منها ، وتبعه المفتش بيشو ، وما كاد فان هوبن يرى ما أمامه حتى ذهل ، فقد رأى جان دنريس جاثياً قرب الأريكة وهو يقبل أرليت فى جبينها وشعرها وأهدابها ووجنتيها فغمغم :

- ماذا تفعل هنا يا دنريس ؟.

فقال دنريس :

- صه .. لا تزعجها ، انني أهدئ أعصابها .انظر كيف يعود إليها الهدوء ..

ووقف بيشو هو الآخر مذهولاً يحدق في جان دنريس ، كما لو أنه ينظر الى شئ مخيف ، وقال فان هوبن :

- المفتش بيشو .. جان دنريس ، ولكن يخيل الى انك تعرف دنريس يابيشو .

أراد بيشو أن يتكلم ولكن الكلمات احتبست فى حلقه وراح يحدق فى شئ من الخوف فى الشاب الذى استأنف عمله المهدئ الممتع ..

***

٣ دنريس بوليس سرى

اجتمع القوم فى الساعة العاشرة من صباح اليوم التالى فى مخدع ريجينى أوبري ، ولما وصل فان هوين وجد جان دنريس جالساً وكأنه في بيته ، يمزح مع المغنية الحسناء ، ويداعب أرليت مازول ، وكان ثلاثتهم يتسامرون ، وقد بدت عليهم امارات السرور والاغتباط ، وقال فان هوين وهو يكاد يبكى قهراً :

- اواه .. ما أسعد دنريس ! انه مجدود ، ينال منكما ما يشتهى ، ومن سائر النساء أيضا .

قالت ريجينى :

- ومن الرجال أيضا ، فأنت رغم حقدك عليه تعلق عليه آمالاً كبار فى استرداد جواهرك .

وأقبل بيشو فى هذه اللحظة ، وردد بصره بين القوم ، وراح يحدق فى جان دنريس كما فعل بالأمس وقال :

- علي الرغم من أن قضية سرقة جواهرك قد كلف بها أحد زملائى فى غيابى يا مسيو فان هوين فانني سأهتم بها ، وقد أمرنى مدير البوليس أن

ألتقى بالآنسة مارزول وأسألها عما حدث لها ، ولكن يجدر بى أن أقرر لك أننى لا أقبل معاونة من أى أحد من أصدقائك مهما كان لونها .

ضحك جلِن دنريس وقال :

– أري يامسيو بيشو أنك لا تميل الى ..

فأجابه هذا بغلظة :

– نعم ، ولكن هل أنت واثق أننا لم نلتق قبل الآن ؟.

– بل التقينا منذ ثلاث وعشرين سنة ، فى حدائق الشانزليزيه ، وكنا نلعب الطوق معا ، وقد أوقعتك مرة ، وحقدت على منذ ذلك اليوم ، ولم يفارقك هذا الحقد كما أرى ، ان مسيو بيشو على حق يا عزيزي فان هوين فلا يمكن أن يكون بيننا أى لون من ألوان التعاون ، ولك مطلق الحرية فى أن تنسحب ، بل فى وسعكما أن تنصرفا معا .

– ننصرف ؟.

– نعم فنحن هنا فى بيت ريجينى ، وأنا الذى استدعيتكما ، وبما أننا لم نتفق فأري أن تنصرفا .

وأمسك بيدي أرليت وقال :

– والآن يا عزيزتى أرليت أرجو أن تقصى علينا ماحدث الآن وقد عاد اليك هدؤك واستردت قواك .

وأصغي إلي قصتها دون أن ينبس بكلمة ، وكانت ريجينى تؤمن على قولها بين الفينة والفينة :

– نعم سلم .. نو ست درجات ، أجل دهليز مرصوف ببلاط أبيض

وأسود ، وغرفة فخمة فى الطابق الأول .

راح دنريس يذرع الغرفة جيئة وذهاباً وقد استغرق فى التفكير ، ثم وقف وقال :

– هذه مسألة معقدة ، شديدة الغموض ، فأنت ياعزيزتى ريجينى خطفت بسبب الجواهر ، ولكنك لست غنية يا عزيزتى أرليت ، ويجب أن نستبعد فى هذه الحالة فكرة السرقة وأن نلتمس أسباباً أخرى كالحب أو الانتقام أو ماشاكلهما ، أرجو أن تجيبي بصراحة وبغير خجل ، هل أحببت أحد ا فيما مضى ؟..

أجابت أرليت :

– لا أظن ذلك ..

– فكرى جيداً يا أرليت ، ألم تلاحظى مثلا أحداً يحوم حولك فى أحد الأيام ..

قالت الفتاة وهي تقدح ذهنها :

– في ذات يوم كان رجل .. جاء منذ ثلاثة شهور مع أخته الى محل شرنتز حيث كنت أقوم أنا وزميلاتى بعرض الأزياء الحديثة ولم أنتبه إليه أول الأمر ، ولكن إحدي الزميلات لفتت نظري إليه قائلة :

– لقد فُتن هذا الرجل بك ويكاد يلتهمك بنظراته ، انه رجل أنيق رشيق وتقول المديرة انه يهتم بالأعمال الخيرية ، وهو يوافقك يا أرليت ، فأنت تنشدين المال ..

قاطعها دنريس قائلا :

- تنشدين المال ؟..

أجابت :

- ان زميلاتى يمزحن معى لأنني أحلم بتأسيس محل كبير للأزياء أخصص فيه لكل عاملة من عاملاتى دوطة تتسلمها حين تعتزم الزواج ، وقد خرجت بعد ساعة من هذا الحديث فلاحظت نفس الرجل يتبعني ، وظل يقتفى أثرى حتى بلغت محطة المترو ، وقد فعل ذلك فى الأيام التالية ولكننى لم أحفل به ، فاختفى بعد أسبوع ولم يعد يظهر، وقد حدث ذات ليلة فى الساعة الحادية عشرة ، وأنا اجتاز شارعاً مظلماً لا يطرقه أحد فى ذلك الوقت أن رأيت ثلاث مرات شبح رجل منزو فى مدخل بيت ، وقد بقى ذلك الرجل واقفاً مكانه فى المرتين الأوليين ، ولكنه فى المرة الثالثة غادر مخبأه وحاول أن يعترض طريقى فصرخت وأطلقت ساقى للريح ، فلم يحاول ملاحقتى ، ولكنني تحاشيت المرور فى ذلك الشارع منذ ذلك اليوم .

- وهل تعرفين اسم هذا الرجل يا أرليت ؟..

- نعم .. انه الكونت دي ميلامار .

ارتجفت ريجينى وفان هوبن ، وافلح دنريس فى إخفاء امارات الدهشة التى ظهرت على وجهه ، وهز بيشو كتفيه فى استخفاف فى حين صاح فان هوبن :

- هذا جنون .. الكونت أدريان ميلامار ؟.. ولكنني أعرفه ، وهو رجل شهم لا يمكن أن يسرق جواهرى .

احتجت ارليت قائلة :

– ولكنني لم أتهمه ، انما ذكرت اسمه فقط ..

قال دنريس :

– هلموا بنا لرؤيته ، وفى استطاعة صديقك بيشو يافان هوبن أن يدخلنا الي بيته ، فهو من رجال البوليس .

صاح بيشو غاضباً :

– هل تحسب ان فى استطاعة المرء أن يدخل بيوت الغير كما يشاء ؟ هل تظن ان فى الامكان أن ندخل البيوت وأن نستجوب أصحابها وأن نتحرى بناء على أقوال سخيفة ومن يؤذن لنا بذلك ؟.. نعم ، ان كل ماسمعناه حتى الآن لا يعدو أن يكون لغوا وسخفاً .

غمغم دنريس :

– اننى أشعر بتأنيب الضمير كلما فكرت أنني لعبت الطوق مع هذا المغفل ..

والتفت الى ريجينى :

– هلا تفضلت يا عزيزتى أرليت بالبحث عن رقم تليفون الكونت ادريان دي ميلامار ، فى دليل التليفونات .

وناولته ريجينى السماعة بعد برهة فقال :

– آلو .. الكونت دى ميلامار ؟.. أنا البارون دنريس ، أرجو عفوك لازعاجى إياك ياسيدي الكونت ، ولكنى طالعت منذ اسبوعين أو ثلاثة نبأ فى الصحف عن بضعة أشياء سرقت من قصرك وهى على ما أذكر :

غطاء قفل ، رمانة كلابة ، وفرع من فروع شمعدان ونصف شريط من

الحرير الاسود يستعمل لشد الأجراس ، وهى أشياء لا قيمة لها ولكنك تتمسك بها لأسباب خاصة ، وإذا أذنت باستقبالى فقد أستطيع أن أفضى إليك ببعض المعلومات عن هذه الأشياء .. آه .. هل أستطيع أن اصطحب معى سيدتين سأبين لك دورهما عند مجيئ ؟ هذه مكرمة عظيمة منك واننى أشكرك ..

وأعاد دنريس السماعة مكانها وقال يسأل ريجينى :

– أرأيت فى دفتر التليفونات أين يقيم الكونت يا عزيزتى ؟.

أجابت :

– بشارع آرفى رقم ١٣ بضاحية سان جرمان ، ولكن أين هذه الأشياء التي ذكرتها الآن ؟..

– معى ، وقد ابتعتها فى نفس يوم إعلان الكونت عنها فى الصحف بمبلغ ١٣ فرنكا .

– ولم لم تردها إليه ..

– ذلك انه يخيل لى أنه وقعت فى القرن التاسع عشر حادثة تردد فيها اسم ميلامار ، ثم اننى أردت أن أتحري واستوثق ، أرليت ، ريجينى .. انتظراني فى ميدان " باليه بوربون " فى الساعة الثانية إلا عشر دقائق ..

وهكذا أنفض الاجتماع بعد نصف ساعة استطاع دنريس فيها ببراعته ولباقته أن يكتشف الشئ الكثير ، وأخذ الجميع يتساءلون عن الدور الذى لعبه الكونت دى ميلامار فى هذه القضية .

وخرج دنريس ، بعد انصراف فان هوين بعشر دقائق ، ولكنه وجدهما

واقفين أمام السلم ، وقد أمسك بيشو بخناق فان هوين وصاح به في يأس :

– كلا انني لن أدعك تسلك هذا الطريق الذى سيؤدي بك الي الخراب ، كلا لا أريد أن تذهب ضحية محتال ، اتعرف من هذا الرجل ؟..

فتقدم دنريس منهما وقال :

– لاريب انكما تتحدثان عني ، يحسن بى أن أبدد شكوك السيد بيشو..

وقدم الي المفتش بطاقته وقال :

– البارون جان دنريس ، الرحالة .

فهتف بيشو :

– هذا كذب وافتراء ، انت جيمس بارنيت ، انني أعرفك رغم تنكرك ، انت جيمس بارنيت ، صاحب مكتب بارنيت وشركاه وقد عاونتني ثماني مرات يخدعتني فيها بلا استثناء ، لقد طفح الكيل ، وواجب علي أن أكشف للناس أمرك ، لا تثق بهذا الرجل يا فان هوين .

ارتبك هذا الأخير ونظر الي جان دنريس ، وكان يشعل سيجارة بهدوء يسأله قائلاً :

– هل يقوم اتهام بيشو علي أساس ؟.

فابتسم دنريس وقال :

– هذا جائز ،انني لا أدري شيئا ، ان معى أوراقا حقيقية باسم البارون دنريس ، ولكنني غير واثق مما اذا كان معى غيرها باسم جيمس بارنيت الذى كان من خيرة أصدقائي ، ولكن ماذا يجد يك أن تعرف هذا ، فإذا كنت أنا بارنيت ، كما يقول السيد بيشو ، ففى هذا خير كفيل لك بلقى

سأفلح يا عزيزى فان هوين .

فقال بيشو :

– بلى هذا معناه انك ستسرق يا مسيو فان هوين ، نعم ، لا ريب انه سيفلح ، فقد أفلح فى القبض على المجرمين وفى العثور على المسروقات فى المرات الثمانى التى ساعدنى فيها .. ولكنه استولى على الغنائم التى عثر عليها فى تلك المرات . انه سيجد جواهرك ، ولكنه سيسطو عليها تحت سمعك وبصرك .

صاح فان هوين ساخطاً :

– كلا .. إذا كان الأمر كذلك فوداعا يا دنريس .. وخير لنا ان يهتم كلانا بشئونه الخاصة .

فضحك دنريس وقال :

– الواقع ان شئونك تهمنى جداً .

– لكننى أمنعك .

– تمنعنى ؟ ان لكل انسان الحق فى الاهتمام بجواهرك ، فقد سرقت ، ولى كما لسواى الحق فى البحث عنها . ان هذه المسألة تهمنى جداً ، ومن ناحية أخرى فإن ريجينى وأرليت فتاتان ساحرتان ، ولن أتخلى عن هذه القضية مادام لهما ضلع فيها .

فقال بيشو وقد كاد يفقد صوابه :

– وأنا لن اتخلى عنها حتى أقبض عليك يا جيمس بارنيت .

– سوف يكون النضال ممتعا اذن .. أستودعكما الله ، وأرجو ان

يحالفكما الحظ .. من يدرى ، فقد نلتقى ثانية .

وابتعد دنريس متئداً وهو ينفث الدخان من سيجارته .

***

نزلت أرليت وريجينى من السيارة التى أقلتهما إلى ميدان باليه بوربون ، حيث كان دنريس ينتظرهما ، وقد علا وجهيهما شحوب يسير .. وقالت ريجينى :

– أخبرنى يا دنريس .. أتظن حقاً ان الكونت دى ميلامار هو الرجل الذى اختطفنا ؟

– ولم هذا السؤال يا ريجينى ؟

– لا أدرى .. ولكننى خائفة ، وكذلك أرليت .

قال جان :

– ومم الخوف .. إذا صح انه هو الذى اختطفكما فما يخيفكما منه ؟

كان شارع ارمى على قيد خطوات منهم ، فساروا إليه ، واقتربوا من قصر الكونت .. وما كاد دنريس يقرع الباب حتى وقفت عربة ونزل منها فان هوبن و بيشو وقد ارتسمت على وجهيهما أمارات التحدى .. وعقد جان ذراعيه فوق صدره وقال محنقاً :

– ما أجرأهما ! لقد كانا يستخفان بى منذ ساعة .. ومع ذلك فهما يعملان الآن برأيي .

وأولاهما ظهره ، ودق جرس الباب الخارجي ، ففتح الباب وظهر خادم عجوز محنى الظهر وقال :

- ان مولاى ينتظرك يا سيدى . تفضل من هنا .

وأشار إلى درجات سلم قصير فى فناء القصر ، ما كادت ريجينى تنظر إليه حتى ارتعدت لاهثة الانفاس وقالت هي وأرليت فى نفس واحد يشف عن خوفهما :

- ست درجات ! .. يا الهى .. ونفس الفناء .. رباه .. أهذا ممكن ؟

* * *

٤ بيشو، مفتش بوليس

قال دنريس مستحثا الفتاتين على التماسك والتجلد :

- عجباً ! لابد أن تسيطرا على أعصابكما .. لن نستطيع أن نفعل شيئا إذا استسلمتما للضعف .

واجتازوا الفناء ، ولما ارتقوا الدرجات الست قالت ريجينى لاهثة :

- اذا كان الدهليز مرصوفاً بالبلاط الأبيض والأسود فلا ريب انى سأفقد رشدى .

وكان الدهليز مرصوفاً بالبلاط بالأبيض والأسود فعلاً ! وغمغمت ريجينى حين وقع بصرها على البساط الذى يكسو درجات السلم :إنه نفس البساط لاريب اننا إذا وجدنا الآن الغرفة الفخمة ..

أقبل الكونت دى ميلامار فى هذه اللحظة ورحب بزائريه ، وأدخلهم غرفة فسيحة فى الطابق الأول ، يوحى مظهرها بأنه يتخذها مكتباً له ، وقد فرشت بأثاث فاخر يرجع تاريخه إلى عهد لويس السادس عشر .

والكونت فى الخامسة والأربعين من عمره ، قوى البنية ، حسن الصورة ،

وخط الشيب شعر رأسه ، وتنبعث من عينيه نظرات غامضة تحير من يراه .

حيا الكونت ريجيني ، وما كادت عيناه تقعان على أرليت حتى اهتز كيانه بيد انه تغلب على عواطفه ، وتكلف الابتهاج والرقة كما يفعل المضيف مع ضيوفه ، وقدم دنريس إليه نفسه وصديقتيه ، ولم يذكر شيئاً عن بيشو ولا عن فان هوبن ، لكن هذا الأخير انحنى حتى كاد يمس الأرض برأسه ، وقال وهو يتصنع الابتسام :

– فان هوبن الجوهرى ، صاحب جواهر الأوبرا ، وهذا مساعدى ، مسيو بيشو .

دهش الكونت حين رأى تعدد زائريه ، ولم يبد عليه ما يدل على أنه سمع شيئاً عن فان هوبن وجواهره ولا عن بيشو .

وتقدم إليه جان دنريس عندئذ وقال فى هدوء :

– سيدى ، ما أعجب الصدف حقاً .. لقد أتفق أن كنت أتصفح مذكرات أجدادى ، فاكتشفت أن رابطة النسب تجمع بيننا ، ذالك أن والدة جدتى تزوجت واحداً من آل ميلامار .

برقت أسارير وجه الكونت ، وقال فان هوبن يخاطب بيشو :

– هل صحيح أنه يمت بصلة القرابة إلى آل ميلامار ؟

أجاب بيشو محنقاً :

– كصلة قرابتى للبابا .

– حقاً أنه جرئ .

– وليست هذه سوى البداية .

واستطرد دنريس يقول :

- اعلم ياابن عمي العزيز ان الحظ قد حالفني ، إذ بينما كنت في المترو وقع بصري على الاعلان الذي نشرته في إحدى الصحف ، وتصادف انني عرجت في طريقي على سوق الأمتعة القديمة لشراء بعض الأواني الأثرية ووقعت عيناي فجأة على كومة من الأشياء القديمة ، رأيت بينها شريطاً من الحرير الأسود وبجانبه غطاء قفل وفرع شمعدان .

ما كاد مسيو دي ميلامار يسمع هذا القول حتى لاحت عليه دلائل الانفعال وقال بلهفة :

- أهذا ممكن ؟ انها نفس الأشياء التي أعلنت عنها .. ولكن ممن أطلبها الآن ، وكيف أحصل عليها ؟

- في وسعك أن تطلبها مني .

- حقا .. هل اشتريتها ؟ سأنقدك ضعف مادفعت .. انني ..

قاطعه دنريس قائلاً :

- دعني أقدمها هدية لك يا ابن عمي العزيز .

وها هي .. فقد عرجت على بيتي قبل مجيئي وأتيت بها معي .

مد الكونت يده في لهفة ولكن دنريس قال ضاحكا :

- رويدك يا ابن العم العزيز .. انني أريد مكافأة يسيرة ، فأنا رجل طبعت على الفضول ، وأحب أن أرى الموضع الذي كانت فيه هذه الأشياء . وأن أعرف سر اهتمامك بها الى هذا الحد .

لاحت أمارات التردد على وجه الكونت ، فقد ضايقه فضول دنريس ولكن

الحضور أساءوا تأويل هذا التردد وحملوه على محمل آخر ، ولكنه قال أخيراً .

– ما أيسر ما تطلب يا سيدى .. أرجو أن تتفضل وتتبعنى الى غرفة الاستقبال فى الطابق الأول .

وتقدمهم واجتازوا الدهليز ، وشرعوا يرتقون الدرج .وما كادت ريجينى ترى البساط الذى يعلوه حتى خانتها قواها وتخاذلت وهوت فوق الدرج . وخف الجميع إليها متسائلين عما أصابها فأجابتهم وهى مغمضة العين :

– لا شيء .. انتابنى ضعف فجائى لا غير ، فمعذرة .

وقال الكونت وهو يفتح باب غرفة الاستقبال :

– يجب ان تجلسى قليلاً حتى تستريحى .

وأعانها فان هوين ودنريس على الجلوس فى مقعد وثير ، ودخلت أرليت فى أثرهم . بيد أنها ما كادت ترى الغرفة حتى بدرت منها صيحة وترنحت ثم تهالكت علي مقعد وقد أغمى عليها .

وساد الاضطراب وهتف الكونت :

– جيلبرت .. اورسولا .. أحضرا بعض المنبهات .. فرانسو ، ادع اورسولا .

أقبل فرانسوا ، وهو نفس البواب الذى فتح لهم ، ودخلت زوجته أورسولا فى أثره ، وكانت عجوزا مقوسة الظهر مثله ، ثم دخلت السيدة التى دعاها الكونت باسم جيلبرت .. فبادرها قائلا :

– اختله .. ان هاتين السيدتين تشعران ببعض الانحراف .

كانت جيلبرت دى ميلامار امرأة ممشوقة القوام ، سمراء اللون ، جذابة الملامح ، تشف عيناها السوداوان الجميلتان عن لطف ورقة .. ولم يفت دنريس أن يلاحظ انها ترتدى ثوباً رمادياً ذا خطوط سوداء .. انحنت فوق ريجينى وقالت :

- بماذا تشعرين يا سيدتى ؟

وأدنت من أنفها بعض الأملاح المنبهة ، فرفعت المغنية الحسناء أهدابها ونظرت إلى جيلبرت ، والى ثوبها الرمادى ذى الخطوط السوداء ، ثم الى يديها ، ووثبت فجأة على قدميها وصاحت فى لهجة تنم عن خوفها :

- الخاتم .. اللآلئ الثلاث .. لا تلمسينى .. أنت المرأة المقنعة .. نعم أنت ، فاننى أعرف هذا الخاتم .. وأعرف هذه الغرفة بما فيها من المحتويات .. آه ، دعينى .. لا تلمسينى .

وغمغمت ببعض كلمات أخرى ثم أغمى عليها ثانية . . وأفاقت أرليت من اغمائها فى هذه اللحظة ، وما كادت ترى جيلبرت حتى هتفت قائلة .. آه .. انها نفس المرأة .. نفس المرأة .. رباه .

***

استولت الدهشة على الجميع .. وقال الكونت :

- ما معنى هذا ؟ عن أى خاتم تتكلم هذه السيدة .. لاريب أنها تهذى .

فقال دنريس بلباقته المعروفة :

- انك نطقت بعين الصواب ياابن العم العزيز ، فقد استولى الانفعال على صديقتى وجعلتا تهذيان ، وسأشرح لك سر هذا الهذيان بعد أن نفرغ

من المسألة التى أتيتك من أجلها .. هاهو ذا غطاء القفل ، وأعتقد انه نفس الغطاء الذى ينقص من درج مكتبك فهو ينطبق تماماً على الموضع الذى انتزع منه .

ووضع الغطاء بنفسه فى المكان الذى أشار اليه ، ثم أخرج من جيبه قطعة من شريط حريرى أسود ، ضمها إلى شريط آخر مدلى من السقف قرب الموقد فتكون منهما شريط واحد متصل . وقال :

– هذا حسن .. وهذا الفرع . أين أضعه ياابن عمى العزيز ؟

أجابه الكونت بصوت خشن :

– هنا فى هذا الشمعدان يا سيدى .. ان له ستة فروع وليس فيه الآن غير خمسة كما ترى . وبقى الآن المقبض ، وقد انتزع من هذه الكماشة الخاصة بالموقد .

أخرج جان المقبض وقال :

– هاهو . وأرجو أن تطلعنا الآن على سر اهتمامك بهذه الأشياء التافهة

– لا شىء غير اننى أتمسك بكل ما خلفه أسلافى .

قال جان :

– هذا من حقك ، فهى من الذكريات العائلية .. ولكن ما سر اختفاء هذه الأشياء .

أجابه الكونت :

– لا أدرى ، ولاريب أنها سرقت .

– ولكن كيف يقنع السارق بهذه الأشياء التافهة وقد كان لديه ما هو أثمن

منها ، كهذه الأواني الفضية مثلا ، وهذه الساعة .

– هذا ما أجهله يا سيدى .

وقال جان عندئذ :

– لا ريب أنك تود أن أفضى إليك بما حملنى على القدوم إليك مع هاتين السيدتين ، وأن اذكر لك سر انفعالهما ؟

قال الكونت :

– كلا .. فان هذا لا يعنينى .

كان يبدو من هيئته أنه يريد أن يتخلص من جان دنريس ورفاقه بأسرع ما يمكن . وتحرك نحو الباب . ولكن بيشو اعترض طريقه قائلاً :

– بل هذا يعنيك يا سيدى الكونت ، إذ يجب أن تفسر لى الآن بعض المسائل .

نظر الكونت إليه فى ترفع وقال :

– ولكن من أنت ؟

– المفتش بيشو من إدارة الأمن .

انتصب الكونت وصاح يقول :

– مفتش بوليس ، ولكن بأى حق تدخل بيتى .. مفتش بوليس فى قصر ميلامار !

– اننى قدمت إليك باسم بيشو يا سيدى الكونت ، ولكن ما سمعته وشاهدته يحتم على أن أستعمل صفتى كمفتش بوليس .

تجهم وجه الكونت وغمغم :

- لكننى لا أسمح لك .

هز بيشو كتفيه استخفافاً وقال :

- لا يهمنى سمحت أو لم تسمح .

وانثنى فان هوبن إلى دنريس وقال له :

- ان بيشو قد غلبه الانفعال .

- أجل واننى أعرفه ، فهو يبدأ باغماض عينيه وفتحهما مراراً ثم يثور مرة واحدة .

وقال بيشو :

- سأوجز فى حديثى يا سيدى الكونت .. أريد أن أعرف ماذا فعلت أنت والسيدة أختك فى هذه الغرفة ما بين الساعة الثامنة ومنتصف الليل .

ضرب الكونت دى ميلامار الأرض بقدمه غضباً ، وثارت ثائرة بيشو عندئذ وأفرغ ما فى جعبته مرة واحدة وصاح فى حدة :

- لم تكن أنت وأختك فى بيتك مساء أمس .. وانما كنتما أمام المنزل رقم ٢ بشارع مونتابور ، وقد انتحلت لنفسك اسم الدكتور بريكو ونصبت شركاً لفتاة اختطفتماها فى سيارتك ، حيث وضعت أختك غلالة حول رأسها وأتيتما بها إلى هذا القصر ، وقد هربت هذه الفتاة ، فرحت تطاردها ، ولكنك لم تستطع أن تلحق بها .. وهذه الفتاة هى التى تراها أمامك الآن .

ما كاد الكونت يسمع هذا الاتهام حتى شحب وجهه وزاد تجهمه وقال وقد توترت أصابع يديه :

– أنت مجنون .. ما هؤلاء المجانين !

صاح المفتش وقد بلغ منه الهياج مبلغا أثار ضحك دنريس :

– لست مجنوناً .. والآنسة أرليت التى تعرفها والتى تعقبتها مراراً بعد خروجها من محل شرتز تشهد على ما أقول ، فهى قد صعدت فوق هذا الموقد ، وتمددت فوق هذا الدولاب ، وفتحت هذه النافذة واجتازت الحديقة أثناء فرارها .. وليس هذا كل شيء .. أتعرف هذه السيدة ؟

(وأشار بيده الى ريجينى أوبرى) ؟ هى السيدة التى اختطفت فى حادث الأوبرا وجيئ بها إلى هذه الغرفة .. فمن الذى اختطفها ، ومن الذى سرق جاكتتها ؟ .. أنت يا سيدى .. أنت ومدام دى ميلامار .. هل تريد برهاناً ؟ هو هذا الخاتم ذو اللآلئ الثلاث .. ولكنى أعترف بأننى تجاوزت ما ينبغى لى .. سأتصل بإدارة الأمن العام .

تهالك الكونت فوق مقعد ، واعتمد رأسه بين يديه دون أن يفكر فى الدفاع عن نفسه ، ولكن جيلبرت دى ميلامار اعترضت المفتش قائلة :

– البوليس ؟ .. أيأتى البوليس هنا ؟ .. كلا . هذا محال .. لا حق لك فى ذلك ..

قال بيشو فى شيء من الاحترام :

– اننى آسف يا سيدتى .

وسار الى الخارج حيث يوجد التليفون واتصل بمدير البوليس ، ثم عاد بعد قليل .

ساد صمت عميق ، أخذ بيشو أثناءه ينظر حواليه وقد ارتسمت على

وجهه أمارات الزهو والخيلاء بينما راحت ارليت وريجينى تحدقان فى الكونت وأخته فى شيء من الخوف والرثاء .. وجاء مدير البوليس بعد نصف ساعة وبرفقته بعض الشرطة .. وقام بتحقيق أولى فاستجوب الخادمين ، وكانا يقيمان فى جناح منعزل .. وكانت الأدلة التى ذكرتها الفتاتان قاطعة لا تقبل الشك ، ثم ان بيشو اكتشف شيئاً أزال كل شك فى نفس مدير البوليس وجعله يجزم بادانة الكونت وأخته . فبينما كان يقوم بفحص الكتب الضخمة المجلدة تبين أن بعضها مجوف من الداخل ووجد فى أحدهما جاكته ريجينى ..

وهتفت ريجينى :

– جاكتتى .

وصاح فان هوين فى جنون :

– ان الجواهر قد انتزعت .. أين جواهرى . ماذا فعلت بها يا سيدى ؟ آه .. سوف ..

نظر الكونت الى الجاكتة فى ذهول ، ولم يلبث أن هز رأسه وابتسم ابتسامة مفعمة بالكآبة وقال :

– أليست أختى هنا ؟

أجابت الخادمة :

– أحسب أن سيدتى ذهبت الى مخدعها .

– ودعيها بالنيابة عنى ، وانصحى لها ان تقتدى بى .

وأخرج مسدسه من جيبه وصوبه الى خده ، ولكن دنريس كان يراقبه

فجذب ذراعه فطاشت الرصاصة وأصابت زجاج النافذة ، فاسرع الشرطة وأحاطو بالكونت وانتزعوا المسدس منه .

واستقر الرأى على أن يذهبوا به وبأخته إلى إدارة البوليس .

ولكنهم لم يجدوا لها أثراً في القصر ، ولم يدر أحد أين ذهبت .

وأبدى دنريس قلقه عليها وأخذ يبحث عنها مدة طويلة دون جدوى .

وقال بيشو يخاطب فان هوبن :

- لا يهمنا اختفاؤها يا مسيو فان هوبن . فسوف أضع يدى على جواهرك بعد قليل .. اننى قمت بمهمتى خير قيام .

* * *

عاد فان هوبن بعد بضع ساعات الى منزله الفخم بشارع هوسمان ، وكان قد تناول طعام العشاء مع المفتش بيشو فى أحد المطاعم ثم اصطحبه الى منزله يتحدثا فى الموضوع الذى يشغل كل اهتمامهما . ولكن ما كاد يستقر بهما المقام حتى قال فان هوبن :

- ما هذا .. يخيل لى اننى اسمع صوتا فى الجناح الآخر من الشقة مع ان الخدم لا ينامون فى ذلك الجناح .

وأسرعا الى ذلك الجناح وقد أخرجا مسدسيهما ، وما كادا يدخلان حتى وقفا مبهوتين فقد رأيا جان دنريس جاثيا قرب امرأة ممددة على اريكة وقد راح يقبل جبينها وشعرها بطريقته المعهودة . ولم تكن المرأة غير جيلبرت دى ميلامار ، وكانت شاحبة اللون بادية الاضطراب ، يعلو صدرها ويهبط .

وصاح بيشو ساخطاً :

– حقاً انك جرئ . اذن فأنت الذى ساعدت الكونتيس على الهرب من القصر .

قال دنريس فى هدوء :

– لا يستطيع أحد أن يخفى عنك شيئاً يا بيشو . . نعم ، انا الذى ساعدتها فانك نسيت أن توقف بعض رجال البوليس فى الحديقة ، وقد أشرت عليها بالهرب عن طريق الحديقة وان تنتظرنى فى سيارة فى شارع مجاور .. ولما انتهى التحقيق لحقت بها ورافقتها الى هنا حيث اعتنى بها .

فسأله فان هوين :

– ولكن كيف دخلت .. ان المفتاح معى .

– لا حاجة بى الى المفاتيح .. وقد زرت بيتك مراراً بهذه الطريقة يا صديقى العزيز ورأيت ان مدام دى ميلامار تستطيع أن تقيم فى هذا الجناح دون أن يزعجها أحد .. فمن يظن ان مدام دى ميلامار تقيم عند فان هوين

ولكن بيشو صاح :

– لكننى سأقبض عليها . سأرشد البوليس إليها .

ضحك دنريس وقال :

– ما أبدعك وأنت تقول هذا يا بيشو ! اننى أوقن انك لن تستطيع أن تمسها بسوء فأنا الذى أسهر عليها وأحميها .

قال بيشو :

– انت تعتنى بمجرمة ؟ !

– مجرمة ؟.. ومن أدراك أنها كما تقول ؟

– عجباً .. أليست أخت الرجل الذى جعلتنى أقبض عليه ؟

– ما هذا الكلام يا صديقى .. انك قبضت عليه بمحض إرادتك .

– اننى فعلت ذلك بارشادك .. وفوق هذا فهو مجرم .

– وكيف تجزم بذلك ؟

– أراك لا تعتقد الآن فى إجرامه .

قال جان دنريس ساخراً :

– كلا . اننى لم أعتقد يوماً فى ادانته .. أيعقل أن يوصف هذا الرجل النبيل باللصوصية .. وأن تدفع هذه السيدة التى لا أجرؤ على تقبيل شعرها بالاجرام ؟ حقا يا بيشو انك تسرعت فى اصدار حكمك .

امتقع بيشو وهو يصغى الى دنريس .. أما فان هوبن فقد اشتد غمه وأيقن أن الجواهر قد أفلتت من بين يديه مرة أخرى .

وجثا جان دنريس بجانب الكونتس وغمغم :

– ان من كانت مثلك لا يمكن ان تدنس يديها بالسرقة .. عدينى أن تذكرى الحقيقة كاملة عنك وعن شقيقك .

***

٥ من هو العدو

لم ينس الجمهور بعد قضية الكونت أدريان دى ميلامار ، فقد أحدث نبأ اعتقاله ضجة كبرى فى جميع الأوساط .. ولم يسفر التحقيق الرسمى عن نتيجة ما ، ولم يستطع رجال البوليس أن يفوزوا من خادمى الكونت بما يدينه هو وشقيقته .

وقام المحققون بتفتيش دقيق فى أنحاء القصر ، لم يثبت منه وجود أى منفذ سرى ، واتضح لهم كذلك أن الكونت لا يملك سيارة .. وقد بقيت الكونتس دى ميلامار مختفية عن العيان ، فلم يعرف أحد مكانها .. ولزم الكونت الصمت التام ورفض أن يعلل موقفه وأبى أن يذكر شيئاً عن حياته الخاصة .

على أن رجال البوليس اكتشفوا شيئاً كان له شأن كبير ، وهو ما أشار إليه جان دنريس فى حديثه مع ريجينى ، وكان فى نيته أن يتحرى فى شأنه وتفصيل ذلك أن الجنرال يوليوس دى ميلامار قد اعتقل عام ١٨٤٠ بتهمة السرقة والقتل وقضى نخبه فى السجن بالسكتة القلبية .

وقد تناول المحققون هذا المسألة بالبحث الدقيق ، رجعوا الى

السجلات وملفات القضايا ، فاهتدوا الى سند ذى أهمية كبيرة علموا منه ان الفونس دى ميلامار ، الضابط فى جيش نابليون الثالث ، وابن الجنرال يوليوس وجد الكونت أدريان قد اتهم بالسرقة والقتل ، وأنه انتحر باطلاق رصاصة على رأسه فى قصره بشارع أرفى .. وقد كتم الامبراطور نابليون الثالث قصته عن الجمهور وحفظت القضية .

كان لهذه البيانات التى اهتدى إليها رجال البوليس تأثير قوى فى النفوس ، فقد اعتقد الرأى العام ان عادة السرقة داء وراثى فى عائلة دى ميلامار .. وزاد هذا الاعتقاد رسوخاً فى النفوس أن الكونت وشقيقته يعيشان فى سعة وليس ثمة ما يدفعهما الى الإقدام على السرقة إلا مثل هذا الميل الوراثى ، وخصوصاً بعد محاولة الكونت أدريان الانتحار كما فعل جده الفونس دى ميلامار .

أما الكونت نفسه فقد أنكر ماعزى إليه ، وراح يؤكد أنه لا يعرف عن الجواهر شيئاً ، وأنه لم يخطف الفتاتين . ولكنه لم يستطع أن يذكر كيف قضى أوقاته فى يومى الاختطاف بما يدفع كل شك من ناحيته ، كما عجز عن تعليل وجود الجاكتة فى قصره .

على أنه لم يلبث أن خرج عن صمته حين واجهه المحققين بمسألة أرليت فاعترف لهم أنه أنجب من عشيقة له فتاة أحبها حبا جما ، وان تلك الفتاة قد ماتت فحزن عليها حزناً شديداً .. وذكر لهم أن أرليت تشبه هذه الفتاة شبهاً غريباً .. وانه تبعها مرتين أو ثلاثة مدفوعا بذلك الشبه ، ولكنه أنكر بتاتاً محاولته اعتراض طريقها فى الشارع الضيق كما قررت أرليت .

وانقضت عشرون يوماً ورجال البوليس لا يزالون يتخبطون فى البحث

والتحرى ، وازداد فان هوبن غماً ويأساً ، ولم يجد ما يدله على علاقة ما بين الكونت دى ميلامار وبين سرقة جواهره .. وأخذ ينتقص من قدر بيشو فى مواجهته .

وفى أصيل أحد الأيام ، طرق رجلان باب الشقة التى يقيم فيها جان دنريس فى حدائق مونسو ، ففتح لهما الخادم وأدخلهما .. غير أن دنريس ما كاد يراهما حتى صاح :

- اخرجا .. ألا تخجلان ؟

ولم يكن هذان الرجلان غير فان هوبن وبيشو ، وقد اعترفا بعجزهما وقال المفتش فى لهجة يرثى لها :

- انها قضية معقدة .

فقال دنريس :

- معقدة أمام المغفلين أمثالك .. غير أنى مع ذلك ، سأقدم لكما يد المعاونة .. انما أريد الطاعة التامة .. الطاعة العمياء .

قال فان هوبن وقد عاوده الأمل فى استرداد جواهره :

- نعم ، لك ما تريد .

- وأنت يا بيشو ؟

قال بيشو بصوت المغلوب على أمره :

- كما تشاء .

- اذهب اذن الى النيابة وأعلن براءة الكونت وأخته مما ألصقته بهما . ولكن ، أخبرنى أولاً .. هل حدث شىء فى التحقيق ؟

- كلا . ولكن الكونت سيواجه غداً بأرليت وريجينى .

- يجب المبادرة اذن .. هل هناك وقائع فى التحقيق أخفيت عن الجمهور

- كلا . ولكن تلقى الكونت دى ميلامار وهو فى سجنه رسالة بهذا النص

" تشجع .. سوف يسير كل شيء على ما يرام " . وقد قمت بتحريات دقيقة فعلمت ان هذه الرسالة سلمها إليه صبى المطعم الذى يمد الكونت بطعامه وقد اعترف هذا الصبى لى بأن الكونت كتب رداً على هذه الرسالة .

- هل اهتديت الى كنه مراسله ؟

- نعم ؟

- اذن هلموا بنا .

- الى أين ؟

- سوف تعلمان .. هناك مسألة بالغة الخطورة وقد أهملتها يا بيشو .. ما معنى ذلك الاعلان الذى نشره الكونت فى الصحف ؟ ولماذا سرقت هذه الأشياء التافهة دون غيرها مما فى القصر من تحف ؟

لقد رأيت أن خير وسيلة لمعرفة الحقيقة هى أن أذهب الى المرأة التى باعتها وأن أسألها كيف حصلت عليها ، وقد ذهبت فعلاً الى تلك المرأة ولكنها ذكرت لى أن سيدة قصدتها وباعتها إياها بمبلغ فرنك واحد ، وذكرت ان تلك السيدة سبق أن باعتها أشياء كثيرة مماثلة ، ولكنها أخبرتنى انها تجهل اسمها وعنوانها .. غير أنها أضافت ان السيد جرادان ، تاجر العاديات يعرفها ويستطيع أن يرشد إليها . وقد أسرعت الى السيد جرادان

ولكنى وجدته مسافراً ، ولا ريب انه قد عاد الآن .

وقصدوا الى محل جرادان ، وكان قد عاد من رحلته فعلاً .. وقد أجاب على السؤال الذى ألقى عليه .

- انها مدام تريانون ، وهى امرأة غريبة الأطوار وشرسة الأخلاق ، تطلق على محلها اسم " التريانون الصغير " ، وتبيع الأشياء المستعملة ، وقد باعتنى بعض قطع فاخرة من الأثاث ، من صنع شابويس ، يرجع تاريخها الى عهد لويس السادس عشر .

سأله دنريس :

- وهل بعت هذه القطع ؟

- أجل . وشحنتها الى أمريكا .

خرج الرجال الثلاثة وهم يتبادلون نظرات تدل على الحيرة ، فقد كانت قطع أثاث الكونت دى ميلامار من صنع شابويس هى الأخرى . ووقفت السيارة بهم على مقربة من محل التريانون الصغير ودخل دنريس وفان هوبن . .أما بيشو فقد بقى بالخارج .

كان المحل مستطيلاً ، ضيقاً ، مملوءاً بالثياب القديمة ، والتحف الأثرية العتيقة ، وما إليها من الأدوات التافهة . وكانت تريانون واقفة فى أقصى المحل تحادث رجلاً يمسك فى يده دورقاً ، وكان طويل القامة ، أشقر الشعر، قوى البنية ، جاوز الثلاثين من عمره ، يدل مظهره على الأناقة . وقد تحدث هنيهة مع مدام تريانون ثم سار الى الباب وهو يقلب بصره فى محتويات المحل ، ولاحظ دنريس انه يختلس النظر إليهما كذلك .

أما فان هوبن فلم يفطن إلى ذلك . ولما اقترب من مدام تريانون ورأى ان دنريس قد لزم الصمت قرر أن يتولى البحث بنفسه فقال :

- ألا يمكن أن يكون أحد قد باعك أشياء زهيدة مسروقة مثل غطاء قفل .. ونصف شريط حريرى .

رفعت مدام تريانون عينيها حالما سمعت هذه العبارة ، ثم تبادلت نظرة خاطفة مع الرجل الذى انتفض عند سماعه كلمات فان هوبن وقطبت حاجبيها وقالت

- كلا .. ابحث بين هذه الأشياء فقد تجد شيئاً يعجبك .

وتلكأ الرجل هنيهة ، ثم ألقى نظرة ذات معنى على المرأة كأنه يحذرها وانصرف .

أسرع دنريس الى الباب ، فرأى الرجل قد استدعى سيارة أجرة ، وذكر للسائق العنوان بصوت خافت وهو يصعد ولكن بيشو اقترب منه فى هذه اللحظة وهو يتظاهر بأنه يتسكع فى الطريق .

وأسرع دنريس إليه عندما اختفت السيارة وسأله :

- هل سمعت ..

- نعم ، فندق كونكورديا ، ضاحية سان هونوريه .

- اذن فقد ارتبت فى الرجل ؟

- أجل . فقد تحققت من شخصيته بينما كنت انظر الى داخل المحل من خلال الزجاج .. هو الرجل الذى بعث بالرسالة الى الكونت دى ميلامار فى سجنه .

– مراسل الكونت ؟ لقد كان يتحدث مع مدام تريانون ، وقد باعت هذه المرأة الأشياء التى سرقت من قصر الكونت دى ميلامار .

الحق ان الحظ يحالفنا .

ولكن سرور دنريس لم يدم ، فقد قيل لهم حين ذهبوا الى فندق كونكورديا انه لا يوجد لديهم ما تنطبق عليه هذه الأوصاف . وانتظروا مدة طويلة . وأخيرا قال جان :

– لا ريب ان العنوان مكذوب وان الرجل قصد أن يبعدنا عن التريانون الصغير .

– لماذا ؟

–لكى يضللنا .. فلنعد ثانية .

لم يخب ظن دنريس ، فانهم ماكادوا يصلون الى المحل حتى ألفوه مغلقاً. ولم يستطع الجيران أن يدلوهم على شىء فقد دهشوا هم انفسهم عندما رأوها تغلق محلها منذ قليل ، قبل الموعد المقرر بساعتين . ولم يعرف أحدهم محل اقامتها .

وقال بيشو ساخطاً :

– يجب أن أهتدى إليه .

فقال دنريس :

– أنت لا تفقه شيئاً . ان مدام تريانون صنيعة هذا الرجل . ويبدو لى انه يعرف كيف يسدد ضرباته . لقد بدأ يهاجمنا .

- عليه الآن أن يدافع عن نفسه .

- ان أحسن وسيلة للدفاع عن نفسه هى أن يبدأ بالهجوم .

- ولكن من يهاجم ؟

- نعم . من .

أخذ دنريس يفكر هنيهة . وفجأة وثب الى السيارة ، وانطلق بسرعة حتى ان فان هوين وبيشو كادا يسقطان مرتين قبل أن يتمكنا من الصعود إليها . وراحت السيارة تنهب الشوارع نهباً ، وأخيراً وقفت أمام منزل ارليت مازول . وأسرع دنريس الى البوابة وسألها :

- هل ارليت مازول هنا .

- انها خرجت يا مسيو دنريس .

وقالت له ان رجل أقبل بسيارته وانها ركبت معه وعرف من الأوصاف التى ذكرتها له انه هو نفس الرجل الذى رآه فى محل تريانون الصغير ، وعرف فى نفس الوقت انه يدعى انطوان فاجيرو وانه كان يزور ارليت مازول وأمها طوال الأسبوع المنصرف .

ولم يحاول دنريس أن يخفى يأسه وقال يخاطب بيشو :

- كنت أتوقع ذلك . تباً لهذا الوغد ! الويل له إذا أصاب الفتاة بسوء .

وفجأة اجتاز الشارع عدوا ، ودخل مكتب بريد وطلب رقم تليفون ريجينى وسأل الخادمة التى ردت عليه :

- هل سيدتك موجودة .. أنا مسيو دنريس .

أجابته الخادمة .

- كلا يا سيدى . لقد خرجت منذ هنيهة مع الآنسة ارليت ، التى جاءت إليها منذ لحظة .

- ألا تعرفين أين ذهبتا ؟

- كلا يا سيدى .

وهكذا اختفت الفتاتان مرة أخرى ، فى مدة وجيزة ، وفى ظروف لا تدع مجالاً للشك فى أنهما اختطفتا للمرة الثانية .

* * *

١ سر آل ميلامار

ملك جان دنريس نفسه هذه المرة ، فلم يظهر غضبه ، ولم يسب أو يصخب ، رغم انه كان يوشك أن ينفجر غيظاً . ونظر فى ساعته وقال :

– الساعة الآن السابعة .. فلنتناول الطعام .. هو ذا مطعم صغير نستطيع أن نذهب إليه ، ومتى أقبلت الساعة الثامنة بدأنا العمل .

فسأله بيشو :

– ولماذا لا نبدأ العمل فى الحال ؟

ودخلوا المطعم الذى أشار إليه دنريس ، وجلسوا حول مائدة فى أحد الأركان ، وقال دنريس رداً على سؤال بيشو :

– تسألنى لماذا لا نبدأ العمل فى الحال ؟ .. لأننى أتخبط فى الظلام على غير هدى .. أننى بحاجة إلى إعادة التفكير ... بحاجة الى أن أفهم . لماذا انطلق فاجيرو بالفتاتين وأبعدهما عن منزليهما .. هذا أمر لا يدعو الى الاطمئنان .

وكان يخيل للناظر الى دنريس انه قليل الاهتمام ، لأنه كان يأكل بشهية .

ويتحدث فى موضوعات مختلفة ، بيد أن حركاته كانت تدل على اضطراب أعصابه وقلقه ، والثورة التى تعصف من جمجمته . والواقع انه كان يعتبر الموقف فى غاية الخطورة .

وفى نحو الساعة الثامنة التفت الى فان هوبن وقال له :

– سل عن أنباء الكونتس دى ميلامار .

وغاب فان هوبن لحظة ثم عاد وقال :

– قالت لى الوصيفة التى أقمتها على خدمة الكونتس انه لم يقع جديد وأنها تناول طعامها .

– اذن هلما بنا .

سأله بيشو :

– الى أين ؟

– لا أدرى . ولكن لنخرج من هنا .. لنعمل أى شىء .. لا أطيق أن أتصور وجود الفتاتين تحت رحمة هذا الرجل .

وانحدروا من موغارتر الى ميدان الأوبرا .. وهناك أفضى دنريس بما فى جبعته ، وعبر عن غيظه وحنقه فهتف :

– أنطوان فاجيرو .. ياله من وغد زنيم . سوف أجعله يدفع الثمن غالياً . لقد انتهز فرصة توزيع جهودنا وراح يعمل بكل جرأة ودهاء . ترى ماذا يبتغى ؟ ومن هو ؟ وهل هو صديق للكونت كما تدل رسالته على ذلك ، أو عدو له . وهل هو شريك أم غريم ؟

وسواء كان هذا أو ذاك ، فما الغرض الذى يرمى إليه من اختطاف الفتاتين ، الواحدة بعد الأخرى ؟ ولماذا كتمت عنى أرليت الشىء الكثير ؟

سأله بيشو فجأة :

– هل تعلم أين نحن الآن ؟

– نعم . نحن على جسر الكونكورد .

– أى اننا على مقربة من شارع أرفى وقصر دى ميلامار .

– واذن ؟

وأمسك دنريس بساعد بيشو وهتف :

– ان هذا الحادث ليس من الحوادث العادية التى تستطيع ان تسترشد فيها بآثار الأقدام وبصمات الأصابع وغير ذلك . ولكنه حادث غامض يحتاج الى الذكاء والتفكير والاستنتاج والى العمل بوحى الغريزة بالاكثر . وقد ساقتنى غريزتى إلى هذه الناحية ، شطر قصر ميلامار ، ونفسى تحدثنى بان الفتاتين قد اقتديتا الى هذا القصر .. ريجينى أولا ، وأرليت بعدها . وانى استعرض الآن ذهنى .. الدهليز وقاعة الاستقبال ..

فقاطعه بيشو :

– ولكن هذا مستحيل .. لماذا يحذو هذه الرجل حذو غيره ، ويفعل فى ظروف أشد خطراً ما سبق أن فعله سواه ؟

– هذا ما يحيرنى بالذات يا بيشو . ولابد انه يرمى بعمله هذا الى أغراض خطيرة حقيقة بالمجازفة .

قال بيشو :

– ولكن ليس من الميسور لكل انسان أن يدخل القصر عندما يريد .

– دعك من حماقتك هذه يا بيشو . انني زرت كل ركن في قصر ميلامار أثناء الليل وأثناء النهار دون أن أثير ريبة فرانسوا العجوز .

– ولكن الحال يختلف مع انطوان فاجيرو ، إذ كيف يستطيع الدخول وادخال الفتاتين معه .

هتف دنريس .

– بالاتفاق مع فرانسوا طبعاً .

وكان كلما اقترب من القصر زادت سرعته ، كما لو كان الموقف قد ازداد أمامه وضوحاً ، وكما لو كان يشعر بخطورة الحوادث المنتظرة والمواقف التي يتعين عليه أن يواجهها .

وتجنب شارع أرفي ، وسار في محازاة المنازل المحيطة بالقصر الى أن بلغ الشارع المهجور الذي تطل عليه حديقة القصر ، ولم يكن ينبعث منه بصيص نور مما يدل على أن كل النوافذ أغلقت بأحكام .

وكانت نوافذ قاعة الاستقبال مغلقة ، فتسلق دنريس الى المقصورة ، ونظر من خلال إحدى النوافذ وأصاغ السمع ، ثم وثب الى الأرض وقال محدثاً بيشو :

– يوجد ضوء في الغرفة ، ولكن لم أر شيئاً بداخلها ، ولم اسمع شيئا .

– فشلنا اذن ؟

– أنت مغفل .

وانثنى الى فان هوبن وقال له :

– أما أنت فأبق هنا فى الخارج لكى ترقب ما قد يحدث .

وكان هناك باب يصل بين الحديقة والقبو ، فهبط دنريس درجات السلم المؤدى الى هذا الباب ، ونفذ منه الى غرفة ملأى بالأوانى والصناديق ، ثم صعد الى دهليز يضيئه مصباح كهربائى .

وكان بيشو يتبعه عن كثب ، ولم يصادفا فى طريقهما أحد فصعدا الى السلم الكبير ودنريس يومئ الى صاحبه بأن يلزم جانب الصمت التام . وأبصرا بقاعة الاستقبال أمامهما ، ويجانبها غرفة للجلوس غير مستعملة فتسللا إليها .

وكان دنريس يعلم ان لهذه الغرفة باباً يصلها بقاعة الاستقبال .. وأن هذا الباب يحجبه من ناحية القاعة ستار من القطيفة والدنتلا يمكنه وزميله من أن يريا ويسمعا كل شيء دون أن يراهما أحد .

وأخرج من جيبه مفتاحاً مصطنعاً وفتح به ذلك الباب دون أن يحدث أى صوت . ووقف مع بيشو خلف الستار ، ولزما الصمت والسكون .

سمعا وقع خطوات تروح وتجيئ فى قاعة الاستقبال ، ولكنهما لم يسمعا صوتاً .. وكان تيار الهواء بين الغرفتين قد حرك الستار قليلا ، فانتظرا حتى ثبت الستار فى مكانه ، ثم الصقا وجهيهما لكى يريا ما يقع بالغرفة المجاورة .

وقعت أبصارهما فى قاعة الاستقبال على منظر هادئ من نوع لا يستوجب المباغتة والاشتراك فى نضال ، فقد أبصرا بأرليت وريجينى

جالستين على أريكة وهما تتبعان النظر رجلاً طويل القامة أشقر الشعر ، أخذ يسير في الغرفة جيئة وذهاباً .

كان الرجل هو بعينه ذلك الذى قابلوه في التريانون الصغير .. كان هو انطوان فاجيرو بالذات .

لزم أولئك الثلاثة الصمت .. ولم ير دنريس على الفتاتين ما يدل على قلقهما أو انزعاجهما .. كذلك لم يكن يبدو على وجه فاجيرو أى أثر من آثار الغضب .. وكان يخيل للناظر إليهم انهم ينتظرون .

وكان فاجيرو جالساً بالقرب من أرليت ، وراحا يتحدثان معا بحدة ولكن بصوت خافت وفي شيء من الألفة .. وقد لاحظ دنريس أنه يدنو منها في بعض الأحيان اكثر مما يجب دون أن تبدو على الفتاة علامات الاستياء .

بيد أنهما انفصلا فجأة ، ونهض فاجيرو واقفاً ، فقد طرق الباب بطريقة معينة تدل على ان هناك شارة متفقا عليها بين الزائر القادم والأشخاص الثلاثة .

هتف فاجيرو وهو يثب نحو الباب :

– هذه هي الشارة المتفق عليها .

وانقضت دقيقة ، سمع دنريس وبيشو في خلالها همساً يدور بين فاجيرو والزائر ، ثم عاد فاجيرو وقد دخل الغرفة وبرفقته امرأة لم يكن دنريس يتوقع ان يراها على الاطلاق .

فقد كانت تلك المرأة هي الكونتس دى ميلامارا .

كانت ممتقعة الوجه ، بادية الانفعال ، أجالت البصر حولها وهي ترتجف

ثم نظرت الى الفتاتين اللتين كانت شهادتهما المخيفة سبباً فى فرارها وضياع أخيها .

قالت تخاطب فاجيرو :

– أشكر لك إخلاصك ومساعدتك ياأنطوان .. وأنا أقبل هذه المساعدة تذكارا لصداقتنا القديمة ، ولكننى لا أتوقع من ورائها فائدة ما .

أجابها فاجيرو :

– اطمئنى يا جيلبرت .. تعلمين اننى قد استطعت معرفة مقرك ، ومن يدرى .. فقد أستطيع اكثر من ذلك .

– ولكن كيف عرفت مقرى ؟

– من الآنسة أرليت مارول ، فقد ذهبت لزيارتها واستطعت ان اجتذبها الى صفك ، واوعزت إليها أن تستجوب ريجينى التى أعلم انها موضع ثقة فان هوبن .. وقد صح استنتاجى وظهر ان فان هوبن أنبأها بمكانك .. وان الآنسة أرليت هى التى اتصلت بك تليفونيا صباح اليوم ، وهى التى توسلت إليك نيابة عنى أن توافينا الى هنا .

أومأت جيلبرت برأسها شاكرة وقالت :

– اننى جئت الآن خلسة يا انطوان ، دون أن أخطر الرجل الذى شملنى بحمايته حتى الآن والذى وعدته بألا أقدم على عمل دون أن أخطره بذلك ، فهل تعرف الرجل الذى أتكلم عنه .

أجاب فاجيرو :

– هل تعنين جان دنريس . نعم . اننى أعرفه من أقوال أرليت ، وهى

الأخرى تأسف على أنها تصرفت دون علمه .. ولكن ذلك واجب ، فانني قليل الثقة بكل انسان .

– ولكن لا يجب أن ترتاب في هذا الرجل يا انطوان .

– بل يجب أن أرتاب فيه ، فقد قابلته أخيراً عند امرأة كنت أبحث عنها منذ أسابيع . امرأة كانت عندها الأشياء التي سرقت من أخيك ، ولاحظت انه ينظر الى في حقد وارتياب ، بل لقد حاول ان يتعقبني ويقتفي أثرى .. فماذا كان ينوى ؟

– ربما كان ينوى مساعدتك .

– مستحيل أن أتعاون مع أفاق مغامر لا يعلم أحد من أين جاء .. خاصة وان كلينا لا يسعى إلى ذات الغرض ، فأنا أرمى إلى اظهار الحقيقة ، أما هو فيرمى الى الاستيلاء على المجوهرات .. ان الدور الذى يلعبه واضح جلي في نظرى .. ثم انني واثق ان بيشو وفان هوبن يريان في هذا الأفاق مثل رأيي .

هتفت أرليت في توكيد :

– هذا رأى خاطئ لا يقوم على أساس صحيح .

– ربما .. ولكني أعمل على فرض أنه الرأى الصواب .

أصغى دنريس الى هذا الحديث باهتمام شديد ، وشعر نحو فاجيرو بمثل البغضاء الذى يشعر بها هذا الأخير نحوه .

وأبغضه بالأكثر لأنه يرى في كلامه وأعماله مظاهر الاخلاص.. وراح يسأل نفسه ماذا كان بين هذا الرجل وجيلبرت في الماضي؟هل أحبها في أحد

الأيام ؟ وكيف استطاع أن ينال عطف أرليت ويخضعها لارادته .

لزمت الكونتس دى ميلامار الصمت طويلاً . وغمغمت أخيرا

-والآن ماذا يجب أن أفعل ؟

أشار فاجيرو الى ارليت وريجينى واجاب :

- يجب أن تقنعيهما وأن تتكلمى وتفصحى .. ان فى ذلك الحادث الغامض نواحى تزيده غموضاً .. وقد اعتمد المحققون على هذه النواحى فى اتخاذ قرارات خطيرة .. ثم هناك ما تعلمينه أنت .

- انني لا أعلم شيئا ، ولا فائدة ترجى من الدفاع .

صاح فاجيرو :

- ولكنني لا أطالبك أن تدافعى عن نفسك وانما بذكر الأسباب التى تضطرك الى عدم الدفاع . . أريد أن أعرف شعورك الشخصى ، وأن أعلم ماتكتمينه فى قرارة نفسك .

.أريد أن أعرف كل ما سألك عنه جان دنريس عبثاً .. كل ما استطعت أنا أن ادركه بالبديهة يا جيلبرت .. وساعدنى على إدراكه أننى عاشرتك مع أخيك فى هذا القصر طويلاً .

ان من واجبك أن تتكلمى وأن تصرحى يا جيلبرت ، لأن صوتك وحده يكفل إقناع أرليت مازول وريجينى اوبرى .

اعتمدت الكونتس رأسها بين كفيها وغمغمت :

- وما الفائدة ؟

- تقولين وما الفائدة يا جيلبرت ؟ .. اننى أعلم عن يقين من مصادر

موثوق بها ان المحققين سيواجهون أخاك غداً بهاتين الشاهدتين ، فاذا اضطربت أقوالهما وظهر فيها الشك والتراخي وعدم التأكيد لم يبق في يد العدالة دليل يستحق الذكر .

لزمت الكونتس الصمت لحظة ثم عادت وقالت انها لا ترى فائدة من الكلام وختمت كلامها قائلة :

- كلا . كلا . لا فائدة ترجى .. وليس أفضل من الصمت .

قال فاجيرو :

- الصمت .. والموت .

رفعت رأسها وردت بحدة :

- الموت ؟

اقترب منها وقال في صوت رزين :

- اصغى اليها يا جيلبرت .. اننى اتصلت بأخيك ، وكتبت إليه اننى سأعمل على انقاذكما معا ، وقد عرفت جوابه .

لمعت عينا جيلبرت وهتفت بانفعاله :

- وماذا قال ؟

- لقد جاءتنى منه هذه البرقية ، خذيها ، اقرئى ما فيها .

تناولت منه الورقة التى قدمها إليها وعرفت فيها خط أخيها ، وقرأت :

" أشكرك .. سأنتظر حتى مساء الثلاثاء ، وإلا .

فتهالكت فى مكانها وغمغمت :

- الثلاثاء ؟ .. غداً ؟

- نعم غداً مساء اذا لم يطلق سراح ادريان دى ميلامار بعد مواجهته بالشاهدتين غداً ، فسوف ينتحر فى سجنه . ألا ترين ، بعد هذا يا جيلبرت ان من الضرورى القيام بمحاولة لانقاذه ؟

قالت بصوت خافت لا يكاد يسمع :

- ليس فى اسرة ميلامار أسرار ، واذا افترضنا ان هناك سراً فهو محاولاتى مع أخى أن نكفر عن الأخطاء التى وقع فيها أسلافنا فى القرن الأخير . أما نحن شخصياً فلم نرتكب إثما .. وكما اننا بريئان ، كذلك كان كل من جولى والفونس دى ميلامار .

" اننى لا أستطيع أن أقدم لكما دليلاً على براءتنا فجميع الدلائل ضدنا ، ولا يوجد دليل واحد فى مصلحتنا .. وكل ما نعلمه اننا لم نسرق ، وان أحدا منا ، أنا وأدريان لم يأت بهاتين الفتاتين الى هنا .. واننا لم نأخذ المجوهرات ولم نخف الجاكتة .

لقد كان الشرف دائما أعز ما يعتز به آل ميلامار ولا يمكن لأى أحد أن يجد فى تاريخ أسرتنا أى نوع من أنواع الضعف التى تسوق الى الأعمال غير المشرفة .. ولذلك لا يسع الانسان إلا ان يتساءل .. كيف أمكن لجدنا وأبيه أن يقدما فجأة على عمل يمس الكرامة ويخدش من الشرف . انهما كانا من أغنى الناس وأكرمهم خلقا ، وأنبلهم قصداً .. وعلى هذا فنحن ضحية .. ضحية شىء ما .. واذا كان هناك سر فهو ذلك الشىء الذى ينغص حياتنا .

اننا نرى على المسارح بعض مآس من حياة أسر تضطهدها الأقدار

أجيالاً عدة .. فشأننا شأن هذه الأسر ، ومنذ ثلاثة أرباع القرن والنكبات تترى علينا من كل ناحية ، وبغير انقطاع .. ومن المحتمل أن يكون جول دى ميلامار قد أراد فى البداية أن يدافع عن نفسه ، رغم الأدلة القوية التى اجتمعت ضده ، فمات فى سجنه بالسكتة القلبية دون أن يستطيع الدفاع عن نفسه .. وعندما اتهم ابنه الفونس بعد خمسة وعشرين عاماً لم يحاول المقاومة .. ولم يفكر فى دحض الأدلة الساحقة التى شعر بها تسحقه ، وحز فى قلبه أن يجد نفسه عاجزاً لا حول له ولا قوة .. وتذكر العذاب الذى قاساه أبوه فآثر الانتحار وقتل نفسه .

وصمتت جيلبرت دى ميلامار ، وشعرت أرليت بالحزن يعصف بقلبها وقالت :

- اتمى حديثك يا سيدتى .. أرجوك ..

استطردت الكونتس :

- وهكذا ظهرت الأسطورة .. أسطورة اللعنة التى انصبت على هذا القصر فذهبت بصاحبه وابن صاحبه ، بعد أن أخذت الأدلة بخناقيهما .

وقد بلغ الفزع من جدتى مبلغا عظيما ففرت بولدها ، أى بأبى إلى الأرياف حيث أنشأته على كراهية باريس ، وحصلت منه على وعد وقسم بألا يعود الى قصر ميلامار ، وأن يتزوج ويعيش فى الأرياف ، وبذلك ينجو من المصير المخيف الذى انتهى اليه ابوه وجده . وهكذا استطاع والدنا أن ينجو من الكارثة التى كان مصيرها أن تهشمه بدوره حتماً .

هتفت أرليت :

- ولكن من أدراك يا سيدتى ؟ .. فربما كان ينجو .

فصاحت الكونتس بحدة .

- كلا . كلا . لو أنه دخل هذا القصر لانتهى كأبيه وجده .. لأن الموت كان هنا فى جوانب هذا القصر .. هنا اللعنة الأبدية التى تطارد آل ميلامار وتقضى عليهم قبل الأوان . بيد اننى وأخى أدريان قد استبسلنا بعد وفاة أبينا ، وقررنا مقاومة هذه اللعنة التى بدت لنا شيئا خرافيا . فنسينا الماضى وجئنا قصر آبائنا ممتلئين أملاً ورجاء فى المستقبل .. غير اننا شعرنا منذ اليوم الأول بالخطر يترصدنا ويهددنا .. وكان شعور أخى بهذا الخطر أشد وأدق من شعورى .. ذلك اننى تزوجت وطلقت وتذوقت طعم السعادة والشقاء .. أما أخى فقد لازم الحزن وانقباض الصدر منذ البداية . وقد بلغ من شعوره بالمصير الذى ينتظره انه حزم أمره على ألا يتزوج لأنه كان فى خوف دائم وهم مقيم .

سألتها أرليت فى حماسة :

- ولكن مم كان يخاف ؟

- مما سوف يحدث ، وما قد حدث فعلاً بعد انقضاء خمسة عشر عاماً من دخولنا هذا القصر .

- ولكن ألم يقع ما يشعركم سلفاً بالخطر ؟

- كلا . فقد كانت حلقات المأساة تدبر فى الخفاء .. كنا نشعر أن الأعداء يحومون حولنا ، الى أن وقع الحادث فجأة .

- أى حادث ؟

- ذلك الذى وقع منذ بضعة أسابيع ، وهو حادث يبدو طبيعيا ولكنه كان

انذاراً مخيفا لنا ، فقد لاحظ أخي في صباح أحد الأيام أن بعض أشياء قليلة الأهمية ، كنصف شريط حريرى ، وغطاء قفل ، وفرع شمعدان ، ومقبض كماشة ، قد اختفيت ، فأدركنا حينئذ أن الساعة قد دنت .. وأن الصاعقة ستنقض فوق رأسينا .

نطقت الكونتس بهذه الكلمات فى خوف شديد ، ثم أردفت بلهجة اليأس

– حاول أدريان أن يقاوم فأذاع فى الصحف إعلانا عن الأشياء التى اختفت ، ووعد من يردها بمكافأة كبيرة ، فقد كان يريد بذلك ، كما قال ، أن يتجنب ما خبأه القدر .

أعتقد أن هذه الأشياء إذا أعيدت الى أماكنها المقدسة التى كانت تحتلها من القصر طيلة القرن ونصف القرن الأخيرين ، تلاشت تلك القوى الخفية الغامضة التى تناوئ آل ميلامار منذ أحقاب .. ولكنه كان أملاً خائباً فلا حيلة للمرء أمام ما كتب له سلفاً فى لوح القدر :

ورأيناكما تدخلان القصر فى أحد الأيام .. ولم نكن رأيناكما من قبل ، ووجهتما إلينا اتهامات لا نفهمها .. وقلتما كلاماً لا ندرى منه شيئاً .. وانتهى كل شىء ، ولم يكن ثمة سبيل للدفاع .

وهكذا غلب آل ميلامار على أمرهم للمرة الثالثة دون أن يعلموا كيف . وأنا وأخى نجد أنفسنا فى ظلام دامس كذلك الظلام الذى سبق أن أحاط بجولى والفونس دى ميلامار .. وسوف تنتهى محنتنا بأحد أمرين .. الموت أو الانتحار .

تلك هى قصتنا ، فمن العبث اذن أن نقاوم .. كل ما نملكه الآن هو أن نرضخ .. وأن نبتهل الى الله .. أما الثورة على أحكام القدر فهى بالنسبة لنا

كفر وجحود .

وصمتت جيلبرت وغمرها الحزن ، وتقدم فاجيرو منها عندئذ وقبل يدها باحترام .. وبكت ارليت ، أما ريجينى فقد بدا عليها التأثر .

***

٧ فاجيرو المنقذ

لزم جان دنريس وبيشو الصمت فى مخبأهما طوال فترة الحديث . ولما انتهت جيلبرت من قصتها همس دنريس فى اذن صاحبه :

– ما رأيك فيما سمعت ؟ ألا تعتقد ان الحقيقة بدأت تتبلج ؟

أجاب بيشو :

– الأمر على العكس ، فقد ازدادت المسألة تعقيدا . . كل ما استطعنا ان نعرفه الآن هو سر آل ميلامار .. أما الموضوع الأساسى ، وهو الاختطاف واختفاء المجوهرات فاننا لم نقف بصدده على شيء .

– هذا صحيح .. وان دل على شيء فانما على سوء حظ فان هوبن .

تحرك فاجيرو فى هذه اللحظة فابتعد عن جيلبرت وتحول الى أرليت وريجينى وقال :

– انكما تثقان الآن بكل ما ذكرته جيلبرت ، أليس كذلك ..

أومأت الفتاتان بالايجاب ، فعاد يقول :

– وهل انتما على استعداد للعمل بما يرضى ضميركما ؟ .. وما يتفق مع

عقيدتكما ؟

- نعم .

- يتعين علينا فى هذه الحالة أن نتصرف بعقل وأن نسلك السبيل الأوحد الذى يوصلنا الى النجاح ، وهو العمل على انقاذ الكونت دى ميلامار من سجنه . وهذا فى استطاعتكما دون غيركما .

فسألته ارليت :

- وكيف ؟

- الأمر فى غاية البساطة ، فليس عليكما عند الادلاء بأقوالكما إلا أن تظهرا شيئا من التردد .

قالت ريجينى :

- ولكننى واثقة من اننى نقلت الى هذه الغرفة بالذات .. ولا أستطيع أن أنكر هذه الحقيقة .

- أنا لا أطالبك بانكار هذه الحقيقة .. ولكن هل أنت واثقة من أن الذى جاء بك الى هنا هو الكونت دى ميلامار وأخته ؟

- لقد رأيت خاتم الكونتس وعرفته .

- وكيف تستطيعين إثبات ذلك .. ان العدالة لا تعتمد حتى الآن إلا على أدلة افتراضية ، ولم يصل التحقيق بعد الى ما يؤيد الاتهام الابتدائى والمعروف ان قاضى التحقيق غير مطمئن إلى ماعنده من معلومات وأدلة ، فاذا قلت مثلا "ان هذا الخاتم يشبه الخاتم الذى رأيته وأن وضع الماسات يحتمل أن يكون مختلفاً لهذا الوضع " فان الموقف يتغير عندئذ من أساسه

قالت أرليت :

- ولكن يتعين لهذا أن توجد الكونتس معنا عندما نواجه الكونت .

قال انطوان فاجيرو :

- انها ستكون معكما .

وكان قوله هذا مفاجأة بالنسبة للكونتس لأنها رفعت رأسها وقد ظهرت على وجهها علامات الفزع وصاحت :

- سأكون معهما ؟ هل يجب ذلك ؟

أجاب فاجيرو بلهجة الأمر :

- نعم .. يجب ذلك .. ان الموقف لا يحتمل الفرار أو الأختفاء ، والواجب يحتم عليك مواجهة الاتهام ، والدفاع عن نفسك علانية وأن تخلعي عنك رداء الخوف والاستسلام المقيت ، وأن تشجعي أخاك كذلك على النضال .

" عليك بقضاء هذه الليلة هنا في القصر ، كما لو ان شيئا لم يحدث ، ومتى حان وقت مواجهة أخيك بالشاهدتين ، قدمي نفسك الى قاضي التحقيق لحضور هذه المواجهة .. وأنا واثق أن النتيجة ستكون نصراً حاسماً لك ولأخيك .

قالت :

- ولكنهم سيلقون القبض على .

- كلا .

نطق فاجيرو بهذه الكلمة بقوة ويقين فلم يسع جيلبرت دى ميلامار إلا ان

تطرق برأسها علامة الطاعة .

قالت ارليت وقد تحمست بدورها :

– اننا سنعاونك ونأخذ بيدك يا سيدتى .. ولكن هل تكفى نيتنا ورغبتنا فى التعاون معك ؟ لقد قررت ، كما قررت ريجينى اننا نقلنا الى هذا القصر واكدنا ان هذه هى الغرفة التى نقلنا إليها . وقد وجدت الجاكتة فى غرفة المكتبة ، فهل تقتنع العدالة بعد ذلك بأنك وشقيقك بريئان ؟ ألا تذهب على الأقل انكما كنتما من الشركاء ؟

فقال فاجيرو :

– ان الكونت وشقيقته لم يريا شيئاً ، ولم يكونا على علم بشىء . وتقسيم القصر ومواقع قاعاته تبرر ذلك ، فالكونت والكونتس يقيمان فى الطابق الثانى ، ويشغلان الغرف التى تطل على الحديقة ، أما الغرف التى بالجانب الأيمن فيشغلها الخدم ، ولا يقيم أحد بالطابق الأرضى والطابق الأول ، وهما بذلك ميدان فسيح للعمل .. وقد انتهز الخاطفون فرصة خلو هذين الطابقين فاتخذوهما مسرحاً لهما وحملوكما اليهما .

قالت ارليت معترضة :

– هذا غير معقول .

– غير معقول ولكنه ممكن . . ومما يدعم هذا الاحتمال ان هذا اللغز يعرض للمرة الثالثة فى ظروف متشابهة .. وليس ببعيد أن يكون ترتيب القصر بهذا النظام هو سبب ضياع جون دى ميلامار والفونس دى ميلامار وها هو يوشك للمرة الثالثة أن يكون سببا فى ضياع أدريان دى ميلامار .

هزت أرليت رأسها وقالت :

- يفهم من كلامك هذا أن ثلاث مؤامرات متشابهة دبرت فى هذا القصر بالذات فى ثلاثة عصور مختلفة ، وأن مدبريها انتهزوا ترتيب القصر بهذا النظام لاسناد التهمة الى أحد أفراد أسرة ميلامار ؟

- نعم .. اعتقد ان أبطال كل مؤامرة كانوا يختلفون عن سابقيهم ولكنهم كانوا جميعا يعرفون أمراً واحداً وهو سر أسرة ميلامار ، واللعنة المزعومة التى تطارد أعضاءها .. وقعود أفراد الأسرة عن الدفاع عن أنفسهم بدافع من تشاؤمهم الموروث .

- ولكن ، لماذا قصد مدبروا المؤامرة التى نحن بصددها الى هذا القصر ؟ لقد كان فى استطاعتهم أن يجردوا ريجينى أوبرى من مجوهراتها فى السيارة ، دون أن يعرضوا أنفسهم بنقلها الى هذا القصر لأخطار هم فى غنى عنها ؟

- انهم فعلوا هذا دهاء وخبثاً ، لكى يلصقوا التهمة بغيرهم ، ويحولوا عنهم أنظار المحققين .

- ولكنهم لم يسرقوا منى شيئا ، ولم يكن فى وسعهم أن يجردونى من شىء لأننى لا أملك شيئا ، فلماذا جاءوا بى الى هذا القصر دون أى مكان آخر ؟

- ربما كان الرجل الذى اختطفك قد فعل ذلك لأنه يحبك .

- لنفترض أن هذا صحيح .. فلماذا جاء بى الى هنا بالذات ؟

- لكى يحول التهمة الى سواه بالتأكيد .

- وهل تعتقد أن هذا التعليل يكفى ؟

- كلا . ولكن هناك عوامل أخرى بغير شك .. هناك عامل البغضاء والكراهية وحب الانتقام . وليس بعيداً أن تكون هناك أسرة أخرى تحقد على أسرة ميلامار وتعمل على البطش بأعضائها وافنائها ، وتجهل أسرة دى ميلامار أمرها وتقنع باسناد مصائبها الى سوء الحظ وقسوة الأقدار .

لم تقتنع ارليت بهذا التعليل وقالت :

- إن هذا الذى تفترضه ..

قاطعها فاجيرو قائلا:

- اننى لا افترض وانما اتكلم بلهجة التوكيد .

- لن يسلم رجال العدالة بهذا الذى تؤكده إلا إذا سمعوا ما سمعنا الآن فمنذا الذى يتولى سرد هذه الحقائق عليهم وإقناعهم .

أجاب بحدة :

- سأتولى ذلك بنفسى .. سأتقدم الى رجال العدالة غداً مع الكونتس دى ميلامار ، بصفتى من أصدقائها السابقين ، بل وسأعترف لهم فى غير خجل بان هذه الصداقة كان يمكن ان تتحول ، لو أن الكونتس وافقت ، الى صلة أخرى أوثق وأقرب من مجرد الصداقة .. سأقول لهم اننى عدت الى باريس بعد أن غبت عنها بضعة أعوام فى رحلة طويلة قمت بها على أثر رفض جيلبرت الاقتران بى وعلمت بالأحداث التى وقعت فأقسمت على أن أعمل على إثبات براءتها وبراءة شقيقها ، وبحثت عنها حتى وجدتها وأقنعتها بوجوب العودة الى قصرها .

ومتى شعرت بعد ذلك بأن الشك بدأ يدب فى نفوس المحققين عقب سماع شهادتيكما فاننى سأتقدم إليهم وأعيد على مسامعهم القصة التى سردتها جيلبرت فى التو واللحظة ، وأميط اللثام أمامهم عن سر أسرة ميلامار ، وأنا واثق بأن النتيجة ستكون فوز حاسماً لنا .

فقالت ارليت فى غير تردد :

– سأدلى غداً بأقوالى بالاسلوب الذى يدخل الشك فى نفوس المحققين .

وقالت ريجينى

– وأنا كذلك .

وعادت ارليت تقول :

– ولكننى أخشى يا سيدى ألا ينتهى الأمر الى النتيجة التى ترمى إليها ، بل التى نرمى إليها جميعا .

فقال فاجيرو :

– اننى واثق من نجاح خطتى .. ربما لا يطلق سراح أدريان دى ميلامار فى مساء الغد ، ولكنى على يقين من أن الموقف سيتغير بحيث لا يجرؤ رجال العدالة على إلقاء القبض على الكونتس ، ويجد أدريان باب الأمل مفتوحاً أمامه فلا يقدم على الانتحار .

مدت جيلبرت يدها إليه وهى تقول :

– دعنى أشكرك مرة أخرى يا انطوان .. اننى تنكرت لك فيما مضى فأرجو أن لا تحقد على .

–اننى لم أحقد عليك قط يا جيلبرت ومن دواعى سعادتى ان انتصر لك وادافع عنك وآخذ بيدك وأناأفعل ذلك لذكرى الماضى ولأنه عين العدل ثم لأن

ولزم الصمت لحظة ثم استطرد فى صوت رزين

- ان هناك أعمالا يضطلع بها الانسان بحماسة خاصة ، لأنه يعلم أن هناك شخصاً بعينه يرقبه ويرقب أعماله وهو يريد أن ينال عطف ذلك الشخص وتقديره .

نطق فاجيرو بهذه الكلمات فى بساطة ، وبغير تصنع ، وهو يلقى على أرليت نظرة خاصة كأنه يعنيها بكلامه ، ولكن دنريس لم يتمكن من رؤية وجهه فظن أنه يقصد الكونتس بكلامه .

وهمس دنريس فى اذن بيشو :

- هلم بنا ، فلم يبق لدى القوم ما يقولونه .

وانصرف وهو غاضب حانق على أرليت .

وما كاد يصل الى الحديقة حتى اعترضه فان هوبن وراح يسأله عن مجوهراته ، فدفعه عنه بقوة ، وأبعده عن طريقه ، وأراد بيشو أن يعبر عن رأيه فقال يخاطب دنريس :

- ان موقف فاجيرو يدعو الى العطف على كل حال .

فأجابه دنريس :

- يالك من مغفل .

- ولماذا ترمينى بالتغفيل ؟ ألا تعترف معى بأن أعماله وأقواله تدل على انه مخلص ووفى ؟ .. ان نظريته التى ..

- يالك من مغفل !

صمت بيشو لحظة ثم استطرد :

– نعم .. اننى لم أنس مقابلتنا إياه فى التريائون ، ونظرته الى بائعة الأشياء المسروقة .. وفرار هذه الأخيرة .. ولكن ألا تعتقد إن في الإمكان إيجاد تعليل لكل هذا ؟

لم يجب دنريس .. ولكنه كان يزمع التخلص من زميليه ، فلم يكد يخرج من الحديقة حتى وثب إلى أحدى سيارات الأجرة .

وقد وقع فى روع فان هوبن أن دنريس يريد الفرار بمجوهراته فحاول الإمساك به ، ولكنه تلقى لكمة حسمت الموقف .

وبعد عشر دقائق كان دنريس ممداً على مقعد كبير فى غرفته .

كان يلجأ دائما الى غرفته كلما أستولى عليه الانفعال وخشى من ارتكاب أية حماقات ، ولو أنه أطاع نفسه فى ذلك المساء لقصد لتوه الى بيت أرليت وأرغمها على أن توضح له موقفها ، وحذرها من انطوان فاجيرو .

غير انه استطاع أن يكبح جماح نفسه وأن يهدئ من ثورته . وراح يسترجع فى ذهنه كل كلمة سمعها فى تلك الليلة ، ثم قال لنفسه وهو يشعر بنوع من الغيرة :

– " نعم . انه يسيطر عليهم جميعاً . ولولا حادث التريانون لصدقته ووقعت فى حبائله وآمنت بإخلاصه ، كما آمنت النسوة الثلاث .. ولكن لا . لا ان خطته عجفاء قد تجوز على رجال العدالة .. ولكنها لا تجوز على .

ولكن ترى ماذا يريد هذا الرجل ؟ وما سر إخلاصه لآل ميلامار ؟ وكيف وجد الجرأة على الخروج من الظلام والسيطرة على الموقف .

وقد أغاظه بالأكثر أن يشعر بوجود صلة وثيقة بين أرليت وفاجيرو ، وأن

يرى أن للرجل نفوذا على الفتاة يحملها على العمل ضده هو ، واحس من ذلك بشيء من المذلة والهوان .

وجاءه بيشو في اليوم التالي وهو بادي الانفعال وقال :

– لقد نجحت خطة فاجيرو الى أبعد حدود النجاح .. ألم أقل لك أن الرجل مخلص .. ان المحققين اقتنعوا بأقواله .

– انهم مغفلون مثلك .

لم يجبه بيشو واستطرد يقول :

– تم كل شيء كما توقع ، فحدثت المواجهة والاستجواب .. واظهرت أرليت وريجيني من التردد والضعف عند الأدلاء باقوالهما مما زعزع يقين المحققين . ثم أقبلت الكونتس ومعها فاجيرو .. ونفذ البرنامج حرفياً ..

– وكان فاجيرو هو البطل ؟

– وأى بطل ! كان بليغاً غاية البلاغة ، بارعاً غاية البراعة .

– والنتيجة ؟ هل أطلق سراح الكونت .

– سيطلق سراحه بعد ظهر غد .

– هذه هزيمة منكرة لك يا بيشو لأنك الذى ألقيت القبض على الكونت . ولكن ، بهذه المناسبة ، كيف كان سلوك أرليت ؟ هل كانت خاضعة دائما لتأثير فاجيرو ؟

– لقد سمعتها تذكر للكونتس عزمها على الرحيل لقضاء بعض الوقت عند أصدقاء لها في الأرياف إلتماساً للراحة .

سر دنريس لهذا النبأ وقال :

– هذا حسن .. الى اللقاء يا بيشو .. اجتهد دائما أن توافيني بأنباء فاجيرو ومدام تريانون .. والآن دعني استمتع بالنوم .

وقضى دنريس أسبوعا لم يبرح غرفته في خلاله .. واتصل به بيشو في أحد الأيام تليفونياً وتلا عليه المعلومات التالية الثابتة في ملف أوراق فاجيرو بادارة البوليس .

" جان فاجيرو في التاسعة والعشرين من عمره ، ولد في بونس ايرس من والدين فرنسيين توفيا ، جاء الى باريس منذ ثلاثة أشهر .. يقيم في فندق مونديال بشارع شاتوران .. لا يمارس أى عمل .. وله صلات بأوساط سباق الخيل وأندية السيارات .. لا يُعرف أى شيء عن حياته الخاصة ولا عن ماضيه " .

وقضى دنريس في غرفته أسبوعاً آخر اوقفه على التفكير في الحوادث الأخيرة .. واتصل به بيشو في أحد الأيام وقال له في صوت أجش " قابلني حالاً في مقهى روشامبو بشارع لا فاييت .. ولا تضيع دقيقة واحدة " .

ارتدى دنريس ثيابه في الحال وقصد الى المقهى ووجد بيشو خلف الواجهة الزجاجية للمقهى ، وهو يرقب الشارع ، فسأله :

– ما وراءك من الأنباء الهامة يا بيشو ؟

– أريد ان أحدثك عن حانوت مدام تريانون .

– وما نبأ هذا الحانوت .. تكلم وأوجز .

– انه مؤجر لامرأة تدعى لورنسا مارتان .

– ولورنسا مارتان هى البائعة التى قابلناها ؟

– كلا .. فقد ذكر لى سجل عقود الايجار ان لورنسا مارتان امرأة فى الخمسين من عمرها وان التى تهتم بالمحل الآن هى شقيقتها .

– وأين تقطن ؟

– هذا ما لم أستطع معرفته .

– وكيف تدفع إيجار الحانوت ؟

– انها تدفعه بواسطة رجل متقدم فى السن مصاب بعرج .. وقد كنت حائراً فى طريقة الوصول الى هذه البائعة الى أن خدمتنى الظروف صباح اليوم ، فقد علمت من إدارة البوليس ان امرأة معينة عرضت مبلغ خمسين ألف فرنك على النائب ليكورسيه لكى يغير الحقائق فى تقدير طلب إليه أن يضعه .. ولما كان ليكورسيه رجلاً تحوم حوله الريب وتردد اسمه أخيراً فى إحدى فضائح وزارة المالية فانه وجد الفرصة سانحة لمحو الوصمة التى تلطخ اسمه ، فاتصل برجال البوليس وأنبأهم بأمر الرشوة التى عرضتها عليه المرأة .

وقد تقرر أن تذهب المرأة الى مكتب ليكورسيه لتنقده المبلغ المتفق عليه ووضعت إدارة البوليس اثنين من رجالها فى غرفة مجاورة لغرفة المكتب ، واصدرت اليهما الأمر بالقاء القبض على المرأة وهى متلبسة بتقديم الرشوة الى النائب .

– وهل ذكرت المرأة اسمها للنائب ؟

– كلا .. ولكن تصادف انه كانت للنائب ليكورسيه فيما مضى صلة بتلك المرأة ، وقد نسيت المرأة هذه الصلة ، وقد أخبرنى انها تدعى .

– لورنسا مارتان !

– نعم .

– هذا بديع .. إذن فصلة الشركة والتآمرالتى تجمع بين فاجيرو ومدام تريانون تمتد الآن الى لورنسا مارتان .. اننى أشعر بسرور وارتياح كلما رأيت اسم فاجيرو يلطخ بالأوحال .. ولكن أين مكتب النائب ؟

– فى الطابق الأول من المنزل المقابل .. وهو مكون من غرفتين ، غرفة المكتب وغرفة الانتظار ، وهما تقضيان الى الردهة ، ولهما نافذتان تطلان على الشارع .

– أهذا كل ما تعرف ؟

– كلا . ولكن الوقت يمر بسرعة والساعة الآن و ..

– تكلم .. هل للموضوع صلة بأرليت ؟

فقال بيشو ساخراً :

– نعم ، بحبيبتك ارليت ، وقد رأيتها أمس .

– كيف ذلك .. ألم تقل انها غادرت باريس

– ولكنها لم تغادرها .. ولكن صه .. ها هى لورنسا مارتان .

كانت قد وقفت سيارة فى هذه اللحظة أمام الرصيف المقابل ونزلت منها سيدة طويلة القامة فى الخمسين من عمرها ، تلوح عليها أمارات القسوة والغلظة ، ونقدت السائق أجرة ودخلت المنزل .. وقال بيشو وهو يتأهب للخروج من المقهى :

- انها هى بعينها .

ولكن دنريس أمسك به وقال :

- لماذا تسخر منى ؟

- هل جننت ؟ اننى لم أسخر منك .

- بل سخرت منى فى حديثك عن ارليت ، ولن اتركك تذهب قبل أن تجيب على سؤالى .

- حسناً .. أعلم إذن أنها كانت تنتظر فاجيرو فى الشارع المجاور لبيتها .

- أنت تكذب .

- أننى رأيته بعينى .. وقد انطلقا معا .

وافلح فى التخلص من دنريس واجتاز الشارع بسرعة فتبعه دنريس بيد ان بيشو لم يدخل الى المنزل وانما وقف أمامه متردداً .. وقال :

- كلا . لنبق هنا . يحسن بنا أن نقتفى أثرها اذا أفلتت من الشرك الذى نصب لها فى المكتب . ما رأيك فى ذلك ؟

قال دنريس وقد اشتد به الغضب :

- اننى لا أحفل بهذه المرأة .. حدثنى عن ارليت .. هل رأيت أمها ؟

ولكن بيشو لزم الصمت فهتف دنريس :

- اصغ الى يا بيشو .. اذا لم تجب على اسئلتى فاننى سأمضى الى لورنسا مارتان فورا وأحذرها من الخطر الذى يهددها.. قل .. هل رأيت

والدة ارليت ؟

- أن ارليت لم تبرح باريس ، وهى تخرج كل يوم ولا تعود الى المنزل إلا فى موعد العشاء .

- كذبت .. انك لا تقصد إلا النكاية بى والإمعان فى اثارتى .. اننى أعرف ارليت ، وهى لا تفعل شيئاً من هذا .

وفى هذه اللحظة خرجت لورنسا مار تن من البيت ، وما كادت ترى دنريس وبيشو حتى صوبت إليهما نظرة فاحصة ثم ابتعدت بسرعة وقد بدت عليها دلائل القلق والاضطراب .

واقتفى بيشو أثرها .. ولما بلغت محطة ترام المترو انتهزت فرصة الزحام وقفزت الى المركبة .. وانطلق بها الترام فى الحال .

واستولى الغضب على بيشو وعاد أدراجه وهو يقول :

- لقد أفلتت منى .

فقال دنريس :

- لا عجب ، فتلك عادتك دائماً .. وكان يجدر بك أن تذهب الى مسيو ليكورسيه وتقبض بنفسك على لورنسا مارتان ، ولكنك بدلاً من ذلك رحت تعمل على إثارتى بحديثك عن أرليت ، فأنت إذن المسئول عما حدث فى مكتب النائب .

- وماذا حدث ؟

- اتبعنى لترى بعينى رأسك .

فصعد بيشو الى المكتب فى اثر دنريس .. وهناك وجد اضطراب وهرجاً

والفى الشرطيين يصيحان مستنجدين ، وكانت حارسة البيت قد صعدت كذلك وراحت تصرخ وتولول ، وخرج السكان يستطلعون ما حدث .

رأى بيشو مسيو ليكورسيه ملقى على مقعد مستطيل ، وقد اخترقت جبهته رصاصة .. وتولى الشرطيان شرح ما حدث بايجاز فاخبراه بأنهما سمعا لورنسا مارتان تعيد شروطها على النائب ، وشاهداها تحصى الأوراق المالية ، وما كادا يهمان باقتحام غرفة المكتب حتى تسرع مسيو ليكورسيه فاستنجد بهما .. وعندئذ فطنت المرأة الى الخطر الذى يهددها فأغلقت الباب بالمزلاج ، وهكذا لم يتمكنا من دخول الى غرفة المكتب . ولما أرادا الخروج الى الردهة وجدا الباب موصدا كذلك .. بيد انه لم يكن مغلقاً بالمزلاج فراحا يعالجانه بكل قواهما .. وفى تلك اللحظة سمعا صوت طلق نارى .

قال بيشو :

– ولكن لورنسا مارتان كانت قد خرجت .

فقال أحد الشرطيين :

– ليست هى التى قتلته وانما قتله الرجل العجوز الذى رأيناه جالساً فى الردهة ، وكان قد طلب مقابلة مسيو ليكورسيه ، ولكن النائب لم يشأ مقابلته قبل أن يفرغ من المرأة .

قال بيشو :

– لاشك انه شريكها .. ولكن كيف استطاع أن يوصد الباب الثانى ويمنعكما بذلك من مفاجأة المرأة قبل أن تهرب ؟

– انه وضع قطعة من الحديد تحت مصراع الباب فتعذر علينا فتحه .

– وماذا فعل بعد ذلك ؟ ألم يره أحد ؟

اجابت حارسة البيت :

– اننى رأيته .. كنت فى غرفتى فسمعت دوى الطلق النارى فصعدت السلم على عجل .. وقابلنى الرجل العجوز وقال لى فى هدوء :

– اسرعى ، فالقوم يتشاجرون فى الطابق الأول .

وكان دنريس يصغى الى مايدور وهو ينظر من طرف عينيه الى الملفات المكدسة فوق المكتب .. وسأل بيشو :

– هل تعرف موضوع التقرير الذى كانت لورنسا مارتان تطلب تعديله ؟

أجاب بيشو :

– كلا .. لم يذكر مسيو ليكورسيه شيئا عنه .

تناول دنريس الملفات الموضوعة على المكتب وراح يقرأ ما كتب على أغلفتها

" تقرير عن مذبح المدينة " .. " تقرير عن الأسواق " .. تقرير عن مد شارع ماريه " .

وكان بيشو يسير فى الغرفة جيئة وذهاباً وعلى وجهه علامات الاضطراب فسأل دنريس بقوله :

– ما رأيك ؟ انه حادث قذر ، أليس كذلك ؟

– أى حادث ؟

– حادث قتل الناس .

– أنني لا أحفل به .. اذ ماذا يهمنى أن يقتل ..

قاطعه بيشو :

– ولكن .. إذا كانت لورنسا مارتان قد ارتكبت جريمة القتل فلابد ان فاجيرو الذى تزعم انه شريكها ..

قاطعه دنريس بدوره فقال :

– ان فاجيرو قاتل كذلك .. انه شقى قاطع طريق .. الويل له اذا وقع فى قبضتى .

وخرج مسرعاً واستقل سيارة أجرة الى بيت ارليت مازول ، وهتفت مدام مازول عندما رأته :

– آه .. مسيو دنريس ! اننا لم نرك منذ مدة طويلة .. سوف تأسف أرليت على انها لم تقابلك .

– أليست هنا ؟

– كلا . انها تخرج للنزهة فى مثل هذه الساعة من كل يوم .. ومن الغريب انك لم تلتق بها .

***

٨ آل مـــارتـــــن

كانت مدام مـازول تشـبه ابنتـها أرليت شـبـهـا قـويا .. ومع أن تـعاقب الأعوام وصروف الأيام قد نالت منها كثيراً ، فقد بقيت في وجهها مسحة من جمال ذاهب تنبئ بأنها كانت في شرخ شبابها أكثر جمالاً من ابنتها .

وقد تفانت هذه السيدة في تربية بناتها الثلاث وبذلت في هذا السـبيل كل ما تملك .. فلما فرت ابنتاها الكبيرتان ترك فرارهما في نفسـها جرحاً لا يندمل .. وراحت تتلمس العزاء في العمل ، فاشتغلت بالحياكة ، وهي مـهنة تتقنها فكانت تدر عليها ربحاً يكفيها ذل الحاجة ويحفظ ماء وجهها .

فسألها دنريس :

– أتظنيـن أنها تعود قريباً ؟

– لا أعلم .. انها لا تخبرني أين تذهب بعد حادث اختطافها فهي تخشى أن تثير في نفسي اسباب الخوف والقلق .. وقد ساءتها الضجة التي أحاطت باسـمها في الأيام الأخيرة .. ومـع ذلك فقـد قالت لي انها مـاضية لزيارة عارضة أزياء مريضة أرسلت اليها رسالة هذا الصباح تطلب فيها رؤيتـها . وأنت تعرف مدى طيبة أرليت واهتمامها الدائم بزميلاتها .

– وهل تقيم هذه الفتاة بعيداً ؟

– اننى لا أعرف عنوانها .

– هذا امر مؤسف ، فقد كنت أود أن أتحدث اليها قليلاً .

– ولكن هذا امرهين ، فلا ريب أن أرليت القت بالرسالة فى سلة الأوراق المهملة ، وأنا لم أحرق هذه الأوراق بعد .. هـا هى ان اسم الزميلة سيسيل هلوين بشارع كورسى رقم ١٤.. وموعد أرليت معها فى الساعة الرابعة .

– ألا تعلمين ان كانت على موعد مع مسيو فاجيرو ؟

– مسيو فاجيرو ؟ .. كلا .. ان أرليت لا تميل الى الخروج مع أحد من الرجال ، ثم ان مسيو فاجيرو يتردد علينا كثيراً ، فهو يأتى مساء كل يوم ويحدث أرليت دائما عن الأمنية التى تحلم بتحقيقها وهى أن تفتح محلا كبيراً للأزياء وترصد لكل من عاملاتها فيه دوطة تؤول إليها عند شروعها فى الزواج . وقد تطوع مسيو فاجيرو فعرض عليها مبالغ وفيرة لانشاء هذا المحل .

– اذن فمسيو فاجيرو غنى ؟

– بل هو واسع الثروة ، وهو شديد العطف علينا كذلك .

قال دنريس وهو يتكلف الابتسام :

– لا ريب انهما يعتزمان الزواج ؟

– لا تمزح يا مسيو دنريس ، ان أرليت لا تعرف الرياء ، وهى تعامله بجفاء وخشونة ، وقد تغيرت أطوارها بعد الحوادث الأخيرة فأصبحت الآن عصبية المزاج سريعة الاهتياج .. وأحسبك تعلم انها مستاءة من ريجينى ؟

– حقاً ؟

– نعم .. وهو استياء لا مبرر له .. أو على الأقل لم تطلعنى على أسبابه .

دهش دنريس لهذا السبب ، وبعد فترة قصيرة ودع مدام مازول وانصرف ومضى الى منزل ريجينى ، وقابلها وهى تبارح المنزل ، وأجابته على سؤاله قائلة :

– انا مستاءة من أرليت ؟ كلا . ربما كان ذلك من جانبها .

– وهل حدث بينكما ما يدعو الى ذلك ؟

– زرتها ذات مساء فوجدت انطوان فاجيرو جالساً معها يحادثها .. ولم تعاملنى برقتها المعهودة فتركتها وانصرفت .. إذا كان يهمك مصير أرليت يا دنريس فحذرها من فاجيرو .. أنه يشملها بعطفه ويبدى نحوها ميلاً لا تقابله بأى نفور .

وهكذا رأى دنريس أن أينما يولى وجهه يسمع عن العلاقة التى نشأت بين أرليت وفاجيرو ، فوضحت له الحقيقة فجأة ، وأدرك أن هذا الرجل قد أوقع الفتاة فى حبائله ، كما فطن أن أرليت قد نزلت من فؤاده منزلة كبيرة وشغلت تفكيره .

وأوقف سيارته فى مكان قريب من منزل سيسيل هلوين ، وقال يحدث نفسه :

– الساعة الآن الرابعة إلا ربعاً . ترى هل تأتى أرليت بمفردها أم يرافقها فاجيرو .

وأخذ يسير فى شارع كورسيه جيئة وذهاباً .. وكان المنزل رقم ١٤ كائنا فى نهاية زقاق ضيق ، يفضى بابه الخارجى الى فناء مربع تكدست فيها طائفة كبيرة من عجلات السيارات القديمة ويقوم فى طرف هذا الفناء سلم

خارجي يؤدى الى الطابق الأول ، وهو مكون من غرف ضيقة لها نافذتان مطلتان بالشارع وتردد دنريس قبل أن يدخل وراح يسأل نفسه :

ان عين الصواب أن أنتظر أرليت في الخارج .

لكن هاتفاً أهاب به أن يدخل ، فقد عجب من إقامة فتاة مريضة فى مثل هذه الغرف الضيقة التى لا تنفذ الشمس إليها وأدرك على الفور أن ثمة أحبولة أعدت للايقاع بأرليت ، واستقر فى ذهنه أن تلك العصابة الجهنمية التى لمس أعمالها فى حوادث الأيام الأخيرة تضاعف هجماتها وتنفذ تدبيراتها بسرعة مدهشة ، وأن نشاطها فى ذلك اليوم كان خارقاً للعادة فبدأت بمحاولة إرشاد النائب ثم فتكت به ، وهى الآن تحاول إيقاع أرليت فى شرك نصبته لها ، وحدثته نفسه بأن انطوان فاجيرو هو الرأس المدبر فى هذه العصابة وأن لورنسا مارتان ومدام تريانون والعجوز الأعرج هم الأيدى العاملة .

تملكه هذا الاعتقاد فبدأ العمل على هديه ، وهز الباب فألفاه مغلقاً مما أكد له فكرة خلو المنزل فعمد الى قفل الباب وراح يعالجه حتى تمكن من فتحه .

ولكنه ما كاد يخطو خطوة واحدة حتى سقطت على رأسه لوحة من الحديد خيل إليه انها حطمت جمجمته .. ولكنها لم تفقده رشده .. وسرعان ماملك نفسه ونظر الى غرمائه وعرفهم فى الحال .

عرف مدام تريانون ولورنسا مارتان والشيخ العجوز ، ولم يكن يعرج فادرك انه إنما يتظاهر بالعرج إذا أراده وانه هو بعينه الذى قتل النائب .

سمع لورنسا تقول :

– هل تعتقدين انه هو ؟

- نعم . انه بعينه الذى زار الحانوت .

قالت لورنسا :

- اذن فهو جان دنريس .. انه شديد الخطر ، ومن المرجح انه هو الذى كان واقفاً مع بيشو على افريز شارع لافاييت . ولكن لماذا يتدخل فى شئوننا . انه يعلم الكثير عنا ، وقد أصبح خطراً علينا . استفسرى من أبى عن رأيه .

وأومأت برأسها نحو الشيخ .. وانضمت المرأتان إليه ، ودار بين الثلاثة حديث بدأ اولا بصوت خافت ، لم يسمعه دنريس ثم احتدم الجدل وصاحت لورنسا بحدة تخاطب مدام تريانون :

- كفى حماقة .. انك تميلين دائماً الى أنصاف الحلول .. لابد مما ليس منه بد . إذا عاش هلكنا .

وهتف الشيخ فى هذه اللحظة :

- صه ، فهاهى قد جاءت .. لتذكر كل منكما دورها .

ولزم الثلاثة الصمت وأصاخوا السمع .. وكانوا وقوفا أمام دنريس ، فاستطاع ان يتأمل وجوههم عن كثب ، وأدهشه أن يجد فى تقاطيعهم شبها عجيباً فأيقن ان المرأتين شقيقتان وأن الرجل أبوهما .

وما هى إلا لحظات حتى سمع القوم طرقاً على الباب فمضت لورنسا وفتحته ثم هتفت بلهجة الترحيب :

- أنت الآنسة أرليت مارول ، أليس كذلك ؟ ما أكرم خلقك .. اننى وابنتى نشكر لك ما تكبدت من عناء لزيارتنا .. ان ابنتى مريضة فى الطابق الأول وفى استطاعتك أن تقصدى إليها .

وسمع دنريس وقع أقدام أرليت على السلم الخشبى وهى تصعد وتقترب من الموت بالتدريج . وفجأة سمع صيحة مخيفة ، تبعتها صيحات أخرى أخذت تخفت بالتدريج ثم ساد السكون .. كان النضال قصيرا ، وخيل الى دنريس أن أرليت لابد قد انتهت الى مثل مصيره .

وعادت لورنسا بعد لحظة وقالت :

– انتهى كل شىء ، وبسهولة . وراح الثلاثة يتبادلون الحديث ولم يسمع دنريس منه شيئاً الى أن صاحت مدام تريانون فى شىء من الغضب :

كلا . كلا . ليس هناك ما يرغمنا على تعذيب هذه الفتاة التعسة . لماذا لاننتهى منها بأسرع ما يمكن .. ألا ترى مثل هذا الرأى يا أبى ؟

ولكن الشيخ لم يجب .. وقدمت لورنسا إلى اختها حبلاً وقالت :

– ليس أسهل من الخلاص منها ، فماعليك إلا أن تطوقى عنقها بهذا الحبل .. أو أن تغمدى خنجراً فى صدرها .

– اننى لا أجرؤ على فعل شىء من ذلك .

فصمتت مدام تريانون .. وبدأ الشيخ عمله ، ففتح بعض أوانى البترول وصفائح البنزين .. وراح يصب محتوياتها على الجدران والأرض ، وكل شىء فى المكان ، وترك فقط دائرة فى وسط المكان وضع بها صفيحة مفتوحة ملأى بالبنزين .

وقدمت إليه لورنسا الحبل فوضع أحد طرفيه فى فوهة صفيحة البنزين وتركطرفه الثانى عند حافة الدائرة .

ثم أخرج من جيبه علبة ثقاب وأشعل طرف الحبل .. ولما فرغ من عمله انصرف مع المرأتين ، وأغلقوا الباب الخارجى .

كان غرض الأشقياء أن يشتعل الحبل بالتدريج حتى تصل النار الى البنزين فيحدث انفجار وحريق وتندلع ألسنة اللهب فى البيت كله فيندثر وتضيع معالم الجريمة المزدوجة .

اشتعل الحبل وامتدت النار فيه .. وقدر دنريس لوصولها الى صفيحة البنزين ووقوع الكارثة اثنتى عشرة أو خمس عشرة دقيقة .. أتى بحركة ليتخلص من وثاقه ، غير أن الوثاق كان شديداً محكماً ، وكادت تفلت من فمه صيحة ألم عندما شعر بالحبل يحز فى جسده وهو يحاول التخلص من وثاقه .

وأخذ الحبل المشتعل يتحرك ويتلوى كأنه ثعبان من نار ، وأخذت ألسنة اللهب تقترب من صفيحة البنزين بالتدريج .. الموت .. انه لا يهتم بمصيره ولكن أيترك أرليت تموت دون أن يقوم بأية محاولة لانقاذها.وأخذت الدقائق تمر وهو يستميت فى محاولاته للتخلص من وثاقه . . حتى لم يبق غير ما يقرب من ثلاثة دقائق ، وجمع كل قوته وقام بمحاولة أخيرة دون جدوى .

ياالهى .. ألا ينفصم هذا الحبل ؟ .. ألا تحدث المعجزة ؟

ووقعت المعجزة فجأة ومن حيث لا يدرى .. فقد سمع صوت خطوات سريعة وصوتا يصيح :

- أرليت .. أرليت .

كان الصوت يدل على الفزع .. هو شخص جاء لينقذهما.

دوى طرق على الباب .. ولما لم يسمع القادم جواباً ، راح يضرب الباب بقدمه وقبضته وتحطم أحد ألواحه أخيرا ، ورأى دنريس يدا تمتد وتعالج القفل فهتف :

– لا فائدة .. اضرب الباب بقوة .. وأسرع .. أسرع .

وفى الحال ألقى القادم بجسمه على الباب ، فسقط القفل من موصفه ، وفتح الباب .

رفع دنريس عينيه الى القادم فرأى أنطوان فاجيرو .

أحال فاجيرو البصر حوله وأدرك الخطر فى طرفة عين ، فاسرع الى صفيحة البنزين وأبعدها بقدمه قبل أن تتخطى النيران حافتها ، ثم داس الحبل الملتهب تحت قدمه حتى أنطفأ واقترب من دنريس وقطع قيوده . وقال هذا الأخير :

شكراً لك .. لو انك تأخرت بضع ثوان لوقعت الكارثة .

سأله فاجيرو :

– وأين أرليت ؟

– فى الطابق الأول .

وأسرع الرجلان معا الى السلم المؤدى الى الطابق الأول . وكانت الفتاة ممدة فى أرض احدى الغرف مكممة الفم ومشدودة الوثاق الى فراش من حديد ، فرفعا الكمامة عن فمها ، وحلا وثاقها .. وفتحت أرليت عينيها ، وألقت على الرجلين نظرة شاردة . فقال فاجيرو :

– لقد جاء كل منا لانقاذك فتقابلنا هنا . ولكننا وصلنا بعد فوات الأوان فلم نتمكن من اقتناص أولئك الأشقياء .

وهكذا أغفل فاجيرو ذكر الحريق الذى أوشك دنريس ان يذهب ضحيته . وأغفل كذلك ذكر عملية الانقاذ التى اضطلع بها . وقال :

– لاشك ان فزعك كان عظيماً .

لم تجب أرليت على الفور وسرت ببدنها قشعريرة .. وغمغمت بعد لحظة :

- نعم .. لقد كان فزعى عظيماً .. ماذا يبتغون من اضطهادى ومحاولة الفتك بى ؟

- وكيف اجتذبوك الى هذا المكان ؟

- اننى لم أر غير امرأة .. امرأة واحدة قابلتنى بالباب وجاءت بى الى هنا ، ثم طرحتنى أرضا .. وهى نفس المرأة التى رأيتها فى المرة الأولى .
نعم ، انها هى وقد عرفت صوتها .. انها المرأة التى قابلتها فى السيارة .

وغلبها الضعف والتعب فصمتت فجأة ، وتركها الرجلان حتى تسترد قوتها ويهدأ انفعالها .. ووقفا بالباب وجهاً لوجه .

لم يشعر دنريس قط بالحقد على غريمه كما شعر فى تلك اللحظة . أغاظه ان يكون لفاجيرو دون غيره من الناس جميعا فضل إنقاذه وإنقاذ أرليت ، وشعر بالمذلة والهوان ، ولم يستطع أن يكظم غيظه ويخفى سخطه وبدأ بالتحدى بأن هوى بيده فى عنف على كتف فاجيرو كما يفعل الانسان مع عدو له وقال :

- هذه فرصة سانحة يحسن بنا أن ننتهزها للتفاهم .. وقبل كل شىء أحب أن أكون على بينة من أفعالك وتصرفاتك .

أجابه فاجيرو :

- أن أفعالى وتصرفاتى واضحة ، لا خفاء فيها .. واذا رضيت أن أجيب على أسئلتك فذلك لأن صداقتك لأرليت التى أحبها تشفع لك ، فسل ما تشاء

- ماذا كنت تفعل فى محل التريانون الصغير حينما قابلتك فيه .

- أنت تعرف السبب ، وقد سمعته أنت بالذات منى .

– سمعته منك ؟ ولكن هذه أول مرة أتحدث فيها إليك .

– بل سمعتنى فى قصر ميلامار ، فى مساء اليوم الذى تبعتنى فيه أنت وبيشو ، وسمعت اعترافات جيلبرت دى ميلامار وحديثى معها وأنت مختبئ خلف الستار فى الغرفة المجاورة .

يالله ! .. ألا يفوت هذا الرجل اللعين شىء ؟

– أنت تزعم إذن إنك تعمل لذات الغرض الذى أعمل له ؟

– نعم .. وأن فى أفعالى الدليل على ذلك .. اننى أحاول مثلك أن اهتدى إلى سارق الجواهر ، وأولئك الذين يضطهدون أصدقائى ، آل ميلامار ويحاولون الفتك بهم .

– وهل مدام تريانون بينهم ؟

– نعم .

– لماذا نظرت إليها إذن نظرة معنوية جعلتها ترتاب فى أمرى ؟

– هذا مجرد وهم خاطئ . فاننى كنت أراقبها خلسة .

– قد يكون ما تقول .. ولكنها أغلقت حانوتها بعد ذلك واختفت .

– ذلك لأنها أصبحت ترتاب فينا جميعاً .

– اذا صح ما تقول فلا ريب ان لها ضلعاً فى مقتل النائب ليكورسيه .

– ماذا تقول ؟ هل مات مسيو ليكورسيه .. هذا مريع !

– هل كنت تعرفه ؟

– كنت أعرفه بالاسم فقط .. ولكننى كنت أعلم أن اعداءنا سيذهبون إليه حتماً ويحاولون إرشاءه .

– وهل هم أغنياء بحيث يعرضون عليه خمسين ألف فرنك ؟

– ان هذه القيمة لا توازى ثمن ماسة واحدة من المجوهرات المسروقة .

– ما هى أسماءهم ؟

– لا أعرفها .

قال دنريس وهو يتفرس فى وجهه :

– سأذكر لك أسماءهم .. أو على الأقل أسماء بعضهم .. هناك أخت مدام تريانون وتدعى لورنسا مارتن ثم هناك عجوز أعرج .

قال انطوان فاجيرو على الفور :

– نعم . نعم ... هؤلاء هم المجرمون الثلاثة ، وهم الذين رأيتهم هنا . ومن سوء الحظ أننى أتيت بعد فرارهم .

وسأله دنريس فجأة :

– هل تحب ارليت ؟

أجابه الآخر بأخلاص :

– كل الحب .

– وهل هى تحبك ؟

– أعتقد ذلك وإلا لما رضيت أن تكون خطيبتى .

بذل دنريس جهود الجبابرة لكى يسيطر على أعصابه ولكنه قال بلهجة هادئة لا تنم عن حنقه وموجدته :

– ولكننى قابلت مدام مازول منذ ساعة فلم تذكر لى شيئاً عن ذلك .

الموضوع .

– ذلك لأن أرليت تريد أن تعد أمها لهذا النبأ بالتدريج فلا تسوقه إليها كأنه مفاجأة .. وقد تمت خطوبتنا فى حضرة الكونت دى ميلامار وشقيقته .

– دعنى أهنئك من كل قلبى .. ودعنى أهنئك أيضاً بثقة الكونت وعطفه .. فإنه يدين لك بالكثير ، فضلاً عن انك صديق قديم للأسرة .

– هناك سبب آخر لما ألقاه من عطف الكونت وثقته ، فقد خرج هو وشقيقته من المحنة الأخيرة بعقيدة ثابتة وهى ان اللعنة التى تطارد آل ميلامار كامنة فى جوانب القصر .

– ولهذا السبب قررا مغادرته والرحيل عنه ؟

– بل قررا التخلص ببيعه وقد تم الاتفاق على أن أشتريه وفى نيتنا أنا وأرليت أن نقيم فيه بعد زواجنا .

***

٩ قصر ميلامار

كأنما قدرلانطوان فاجيرو أن يكون دائماً مصدر مفاجآت لغريمه دنريس فان صلاته بأرليت وزواجه المنتظر بها وابتياعه قصر ميلامار ، كل ذلك كان سلسلة من المباغتات بالنسبة له .. ولكن فاجيرو أنهى إليه كل هذه الانباء ببساطة كأنه يتكلم عن أشياء عادية مألوفة ، ووجد دنريس ان غريمه انتهز فرصة الأيام التى قضاها فى التفكير وسبر غور الموقف فتقدم فاجيرو كثيراً فى ميدان القتال ، وضمن لنفسه القصر .

سأله فى هدوء :

– ومتى سيتم البيع ، وعقد الزواج ؟

– بعد ثلاثة أسابيع أو أربعة على الأكثر .

تمنى دنريس فى هذه اللحظة أن ينشب أظافره فى عنق هذا الغريم الذى استطاع أن يسير بالأمور على مشتهاه .

وكانت أرليت قد استردت قوتها فى هذه الأثناء فنهضت واقفة وهى شديدة الامتناع .. وغمغمت قائلة :

– هلما بنا ..لاأريد البقاء هنا .. بل ولا أريد أن أعلم أو أن تعلم والدتى

بما حدث لي هنا تستطيعان فيما بعد أن تسردا على كل شئ

قال دنريس

– نعم ، فيما بعد .. أما في الوقت الحاضر فيجب أن ندفع عنك كل اعتداء مماثل ، ولكي نصل الى هذا الغرض فيجب علينا ، أنا ومسيو فاجيرو ان نوحد جهودنا ونعمل يدا واحدة ، وبهذا نستطيع ان نميط اللثام عن الأشقياء الذين يطاردون أرليت ويضطهدونها .

قال فاجيرو :

– انني أرحب بهذا الاتفاق يا سيدي .

بسط دنريس يده الى فاجيرو ، فتناولها هذا على الفور وضغط عليها وقال دنريس :

– انني أسأت بك الظن خطأ يا سيدي .. ان الرجل الذي يقع عليه اختيار أرليت يجب أن يكون جديراً بها .

لم يصافح دنريس في حياته عدواً له بمثل الحماسة التي صافح بها فاجيرو ، ولكنها كانت حماسة مصطنعة تستر وراءها حقداً دفيناً .

وانصرف ثلاثتهم من ذلك البيت الجهنمي .. وانطلق فاجيرو في البحث عن سيارة أجرة ، فانتهزت أرليت فرصة انفرادها بدنريس وقالت له :

– يجب أن أعتذر لك أيها الصديق ، فانني فعلت أشياء كثيرة دون أن أنبهك بها سلفاً كما وعدتك .. أشياء ربما لم تحز رضاك وموافقتك .

– ولماذا يا أرليت ؟ انك ساهمت في إنقاذ الكونت دي ميلامار وشقيقته ، وهو عمل كنت أسعى إليه بنفسي .. أما عن فاجيرو فانه طلب يدك ، وأنت سعيدة طبعاً .

أجابت :

– اننى أكون أسعد مخلوقة فى العالم إذا بقيت لى صداقتك .

– ولكنني لا اكن لك مجرد الصداقة ؟ يا أرليت وأنت تفهمين ما أريد أن أقول تماماً .. أليس كذلك يا أرليت ؟

– نعم ، نعم .. اننى أفهم ، ولكن لنترك الحديث فى هذا الآن .

– اننى أشعر بأن هناك شيئاً غامضاً يحيط بك يا أرليت .. نعم ، هناك سر يحيط بجميع الذين لهم ضلع فى هذه الحوادث الغامضة التى وقعت أخيراً .

– اؤكد لك اننى لا أخفى سراً .

– كلا ، كلا . هناك سر ، ولكنى سأنقذك منه ، كما سأنقذك من أعدائك . سينجلى الموقف وتظهر الحقيقة قريباً ، ولكنى أطالبك بشىء واحد ، هو أن تعدينى بمقابلتى عند الضرورة وأن تمهدى لى السبيل لكى أوثق الصلة بينى وبين الكونت دى ميلامار وشقيقته .

– أعدك بذلك .

ووقفت أمامهما سيارة أجرة التى جاء بها فاجيرو ، فصافح دنريس غريمه ، ووثب الى سيارته الخاصة .

***

أثار مصرع النائب ليكورسيه ضجة هائلة ، وازداد اهتمام الرأى العام بالجريمة حين ظهر من أقوال بيشو ان لهذا الحادث صلة بسرقة الجواهر ، فقد أثبتت شهادة بيشو ان المرأة التى زارت النائب ليكورسيه هى لورنسا مارتن ، ذات الصلة المعروفة بحانوت تريانون .

وهكذا أصبحت جريمة لورنسا مارتن والعجوز الأعرج حديث الناس جميعاً .. وظل سر الجريمة غامضاً إذ لم يهتد أحد الى معرفة التقرير الذى أرادت لورنسا مارتن رشوة النائب لتغييره وتعديله .

وفى هذه الأثناء كان دنريس يقابل أرليت يومياً فى قصر آل ميلامار ، ولم تكن جيلبرت قد نسيت جرأة دنريس يوم ساعدها على الفرار والدور الهام الذى لعبه فى الحادث فرحبت به كل الترحيب هى وشقيقها .

وكانت الطمأنينة قد بدأت تجد سبيلها الى نفس الكونت وشقيقته ، وعادت إليهما الثقة والرغبة فى الحياة ، بيد ان ذلك لم يغير من القرار الذى اتخذاه ، وهو بيع القصر ومغادرة باريس بأسرع ما يمكن .

وكانت أرليت قد جعلت إقامتها فى قصر ميلامار الذى تقرر أن يصبح مقرها بعد الزواج .. وقد أخذ فاجيرو يتردد عليها فى ذلك القصر .. وكانت جميع أقواله وحركاته تنم عن الطمأنينة وراحة البال .

وقد فهم دنريس من أحديثه مع أرليت ان الفتاة لا ترحب بذلك القصر إلا لرغبتها فى أن تجعل منه مقراً لادارة صندوق التعاون الذى قررت انشاءه لإمداد العاملات أمثالها بالدوطة عند الزواج .

وكان دنريس يسائل نفسه طول الوقت من أين لأنطوان فاجيرو المال اللازم لابتياع هذا القصر ، مالم يكن قد حصل على هذا المال من المجوهرات المسروقة .

فقد كانت المعلومات والبيانات التى حصل عليها المفتش بيشو من سفارة الارجنتين وغيرها من المصادر تدل على أن عائلة فاجيرو ألقت عصا الترحال فى الأرجنتين منذ عشرين سنة ، وأن والد فاجيرو ووالدته توفيا منذ عشرة أعوام وتركاه بلا ثروة ، فكيف استطاع أن يحصل على هذه الأموال

الطائلة .

وقد كان دنريس وفاجيرو يتقابلان بعد ظهر كل يوم فى قصر ميلامار ، حيث يتناولان الشاى مع أرليت والكونت والكونتس .. وكانت الصلة بينهما فى هذه المقابلات تشعر بالصداقة وتبادل المودة . وكان كل منهما لا يدخر وسعاً فى إطراء الآخر وامتداحه .. ولكن نظرات كل منهما كانت تنم عن غير ما تنطق به ألسنتهما .

ولم يتعاون الاثنان فى العمل كما اتفقا .. وكان النضال بينهما فى الواقع خفياً .

وفى أحد الأيام ، رأى دنريس غريمه وفان هوبن يسيران معا فى ميدان لابورد ، وقد تأبط كل منهما ساعد الآخر ، فتبعهما عن كثب ورآهما يقفان أمام مكتب بشارع لابورد فوقه لوحة مكتوب عليها " مكتب بارنيت وشركائه للقيام بالاستعلامات وأعمال البوليس السرى "، وقد أشار فان هوبن باصبعه الى هذه اللوحة ، ثم مضى مع فاجيرو وهما يتحدثان بحدة ..

وحدث دنريس نفسه فقال :

– إذن فقد اتفق الشقيان ، ووشى بى فان هوبن ، وكشف لفاجيرو عن أن دنريس هو بعينه جيمس بارنيت ، ولن يتعذر على رجل مثل فاجيرو أن يكتشف فى أقرب وقت الصلة بين جيمس بارنيت وأرسين لوبين .. ومتى تم له ذلك أمكنه ان يطلق رجال البوليس فى أثرى ، فأى الاثنين ينتصر .. لوبين أو فاجيرو ؟..

وشرعت جيلبرت تستعد للرحيل عن القصر ، وتم الاتفاق على أن يكون رحيلهما مع أخيها بعد أسبوعين ، وأن تبرم صفقة البيع ويدفع فاجيرو الثمن تحويلاً على أحد البنوك .

كذلك تقرر أن تعلن أرليت خطوبتها عقب رحيل الكونت والكونتس ، ثم تشرع بعد ذلك فى الاستعداد للزواج .

وانقضت بضعة أيام ، أخذت العلاقة بين دنريس وفاجيرو فى خلالها تتطور تطوراً سريعاً ، وكان فاجيرو من الجراءة بحيث قدم فان هوبن الى الكونت ، فلما تقابل فان هوبن ودنريس فى القصر عامل أولهما الثانى بكل برود وفتور ، وراح يتحدث عن مجوهراته المسروقة ، ويلمح بأن فاجيرو قد أوشك ان يضع يده على السارق ..

وقد قال فان هوبن هذا الكلام بلهجة اشتم فيها دنريس رائحة التهديد وظهرت له منها أغراض فاجيرو .

وكان دنريس قد أغرى بالمال الخادم الذى يقوم على خدمة فاجيرو فى فندق موندیال ، وقد علم من ذلك الخادم أن فاجيرو لا ترد إليه رسائل ولا يزوره أحد فى الفندق ..

وفى أحد الأيام أنبأه الخادم بأنه سمع طرفاً من حديث تليفونى دار بينى فاجيرو وإحدى النساء ، وسمع الأول يضرب للمرأة موعداً للمقابلة فى " حدائق مارس " ، فى الساعة الحادية عشرة ، وقد خف دنريس الى تلك الحدائق فى الموعد المتفق عليه ، وكان الظلام دامسا فى تلك الليلة فراح يبحث عن فاجيرو ، ولكنه لم يقع له على أثر ..

وساقته قدماه وهو يسير فى الحديقة الى مقعد خشبى قد جلست عليه إحدى النساء ، فاقترب منها وهو يعلل النفس بأنها قد تكون المرأة التى ضرب لها فاجيرو موعدا للمقابلة ، وقد رابته طريقة جلستها فأخرج مصباحه الكهربائى وسلط ضوءه عليها ، وزادت ريبته عندما لم تتحرك خاصة وانها كانت مطرقة برأسها الى الأرض فرفعها ونظر الى وجهها

وعرف فيها مدام تريانون وكانت جثة هامدة ..

أجال البصر حوله ، ورأى اثنين من رجال البوليس يسيران فى الشارع غير بعيد فصفر بفمه ليلفت نظريهما إليه واستغاث بهما ، فلما أقبلا أوضح لهما الموقف ففحصا المرأة ووجدا بين كتفيها قبضة خنجر قد غاص نصله في جسدها .. وكانت يداها باردتين وجميع الدلائل تدل على ان الوفاة حدثت منذ ثلاثين أو أربعين دقيقة وكان هناك من آثار الاقدام ما يدل على أن المرأة قاومت قاتلها أو قاتليها .. ولكن الأمطار أخذت تنهمر وتزيل هذه الآثار ..

قال أحد الشرطيين :

– لابد من سيارة لنقل الجثة الى ادارة البوليس .

– حسنا احملا الجثة الى خارج الحديقة ريثما أبحث عن سيارة ..

وتركهما ومضى فى سبيله ، وصادف إحدى سيارات الأجرة فطلب من سائقها ان يذهب إلى الحديقة ، ولكنه لم يرافقه وقال لنفسه :

– لا داعى لاظهار الحماسة فى مثل هذا الموقف .. نعم فاننى اذا وقفت بين يدى المحقق فسوف يسألنى عن اسمى ، وسوف يدعونى مراراً لا ستكمال التحقيق ، وأنا رجل هادئ الطباع لا أميل الى أمثال هذه المضايقات .

ولكن ، ترى من قتل هذه المرأة ؟ أهو أنطوان فاجيرو ، أم هى لورنسا مارتن ، وقد أرادت التخلص من أختها ؟..

مهما يكن من أمر فهناك ظاهرة تدعو إلى الاغتباط ، وهى أن الخلاف قد دب بين الشركاء .

وفي صباح اليوم التالي نشرت الصحف نبأ جريمة حدائق مارس ، وذكرت أن المرأة المقتولة هي مدام تريانون ، شريكة لورنسا مارتن ، وان المحققين وجدوا في أحد جيوبها قصاصة كتبت عليها هاتان الكلمتان " أرسين لوبين " ، وأوردت ما قاله الشرطيان عن الرجل الذي أرشدهما الى الجريمة ثم لاذ بالفرار ..وان المحققين يعتقدون بوجود صلة بين أرسين لوبين وحادث سرقة المجوهرات ..

ولكن هذه الاشارة الأخيرة أثارت الرأي العام الذي يعلم أن أرسين لوبين لا يرتكب جرائم قتل ، وكان الرأي السائد أن القاتل ترك تلك الرقعة في جيب ضحيته تضليلاً للمحققين .

على ان هذا الحادث كان بمثابة إنذار لجان دنريس .

نعم كان بمثابة إنذار له من فاجيرو ، وكأنه يقول له انفض يديك من هذه الحوادث جميعاً ودعني حرا وإلا ألقيت بك في السجن لأن عندي من الأدلة ما يثبت ان جان دنريس هو بارنيت ، وأن بارنيت هو أرسين لوبين ..

وقد فكر دنريس أنه ليس أيسر على فاجيرو من أن يؤلب بيشو عليه ويثير ريبته ، وبيشو مرتاب فعلاً ، ويفتقر إلى الأدلة ليبطش بجيمس بارنيت الذي طالما هزأ به وسخر منه ..

وقد حدث ما توقعه دنريس ، فانه ذهب الى قصر ميلامار ذات يوم ، فوجد بيشو وفان هوبن بين الزائرين ، ولاحظ من ناحية مفتش البوليس فتوراً لم يعهده من قبل ..

والواقع ان دنريس انقلب في نظر بيشو فجأة الى أرسين لوبين ، لأن لوبين هو الشخص الوحيد الذي يستطيع أن يفعل مارآه من أفعال بارنيت..

وقد خرج بيشو من قصر ميلامار في ذات المساء وفي نيته أن يستصدر

فى الحال أمراً بالقبض على دنريس ..

* * *

بدأ الموقف يتحرج تدريجياً بين دنريس وفاجيرو ، وقد بدت على هذا الأخير فى الأيام التالية لمصرع مدام تريانون علامات القلق ، ولكنه سرعان ما عاد سيرته الأولي وبدا رجلا مطمئناً واثقاً من المستقبل ومن الفوز .

وقبل الموعد المقرر لا برام صفقة بيع القصر باسبوع واحد تقابل فاجيرو ودنريس فى أحد أروقة قصر ميلامار ، فقال الأول .

– والآن ما رأيك فى كل هذا ؟..

– كل هذا ؟.. ماذا تعنى ؟..

– أعنى الدور الذى يلعبه أرسين لوبين .

– اننى قليل الإيمان بوجود أصبع للوبين فى هذه الحوادث ..

– مهما يكن من أمر فالأدلة قوية ضده ، وقد يقبض عليه ما بين ساعة وأخرى .

– من يدرى ؟.. أنه رجل داهية ..

– لو كنت مكانه لبادرت بالفرار إلى الخارج ..

– ان أرسين لوبين ليس بالرجل الذى يولى الأدبار ..

– مادام الأمر كذلك فاننى أقبل أن نتفاهم ..

دهش دنريس وسأله :

– مع من ، وفى أى شأن ؟..

– مع الشخص الذى توجد المجوهرات معه .

– لو كانت المجوهرات فى حوزة لوبين فان أساس التفاهم معه معروف وهذا الأساس هو كل شئ لى ولا شئ لك ..

انتفض فاجيرو وهتف :

– ماذا تعنى ؟.

– أنا لا أعنى شيئاً وانما أتكلم بلسان لوبين ووقفاً لما هو معروف من مبادئه ! ..

فضحك فاجيرو حتى أوشك ان يستلقى على قفاه ..كانت ضحكة بريئة ولا تدل على الانزعاج .. والواقع انه لم يكن يضايق دنريس من غريمه إلا ما يبدو على وجهه وفى حركاته من مظاهر الاخلاص والصدق وعدم التصنع وقد رأى أن يضرب الحديد قبل أن يبرد فقال بلهجة جدية تنم عن الحقد والبغض :

– لا فائدة من المناقشات الكلامية بيننا ، وأن ثلاث أو أربع كلمات تكفى لحسم الموقف .. اننى أحب أرليت ، وأنت تحبها كذلك .. واذا أصررت على الاقتران بها فاننى أهدمك .

ذهل فاجيرو لهذه الصراحة ولكنه أجاب على الفور :

– اننى أحب أرليت وسأقترن بها .

– أنت ترفض اذن ؟

– نعم . ليس هناك من الأسباب ما يحملنى على إطاعة أوامر لا حق لك فى أن تصدرها لى .

– ليكن ذلك .. ولنتفق على يوم المعركة .. يوم النضال .. أن عقد بيع القصر سيبرم يوم الأربعاء القادم ، أليس كذلك .

- نعم ، فى منتصف الساعة السابعة مساء .

- سأكون فى القصر فى هذا الموعد .

- بأية صفة ؟

- ان الكونت وشقيقته سيسافران فى اليوم التالى ، وسأذهب لوادعهما .

- سوف يرحبان بك .

- الى اللقاء اذن يوم الأربعاء .

***

حرص جان دنريس عقب هذه المقابلة على أن لا يعرض نفسه لأى خطر فاختفى ، وغاب عن الانظار .. ولم يلتق به أحد فى أى مكان .

وكانت إدارة الشرطة قد وضعت اثنين من مفتشى البوليس أمام بيته ، ورابط اثنان آخران أمام بيت أرليت مازول ، ومثلهما أمام بيت ريجينى أوبرى .. وفى الشوارع المحيطة بقصر ميلامار .

توارى دنريس عن الأنظار ، فى أحد المخابئ المنيعة الكثيرة التى يملكها فى باريس .. وراح يستعد للمعركة الحاسمة والنضال النهائى .. ولم يشعر فى حياته الحافلة بالمغامرات بوجوب الاستعداد والتأهب كما شعر هذه المرة .

وقد قام خلال ذلك بمغامرتين ليليتين حصل فيهما على أدلة وبراهين كان بحاجة إليها . ثم اختفى فى مخبئه الى السكينة والتفكير ، وراح يرتب حلقات الحادث كله من البداية .

كان يعرف ما يسمونه سر آل ميلامار ، وهو سر لا يعلم به آل ميلامار أنفسهم على وجه التحقيق .. كل ما هنالك انهم كانوا يعتقدون أن هناك لعنة

أبدية تطارد أفراد أسرتهم ، بيد أن دنريس استطاع بعد البحث والتفكير أن يعرف الأسباب الخفية التي جعلت آل ميلامار أضعف من خصومهم ، كما استطاع أن يعرف الدور الذى لعبه فاجيرو على حقيقته .

وفى يوم الأربعاء المتفق عليه تناول دنريس طعام الغذاء مبكراً ثم خرج ليتنزه ويفكر .

اجتاز نهر السين وابتاع إحدى الصحف .. وأراد أن يقطع الوقت بقراءتها ، فراح يبحث فى الجريدة عن الأنباء المثيرة ، حتى لفت نظره عنوان إحدها فقرأ تحت العنوان ما يلى :

" اتصل بنا أن الحلقة بدأت تضيق حول أرسين لوبين " فقد ثبت أن شاباً أنيقاً شوهد منذ أسابيع وهو يبحث عن امرأة ظهر الآن انها مدام تريانون التى وجدت أخيرا مطعونة بخنجر فى إحدى الحدائق العامة .. وتدل بعض المعلومات التى وصلتنا أخيرا ان ذلك الشاب يدعى دنريس ، فهل هو الفيكونت جان دنريس الذى اشتهر فى أوساط السياحة ، وطاف حول العالم بأحد الزوارق فى العام الماضى .

" هذا وهناك ما يدعو الى الظن بأن جيمس بارنيت ، البوليس السرى الخاص المشهور هو بعينه أرسين لوبين ، فاذا صح هذا فاننا نرجو ألا يبقى هذا الرجل ذو الشخصيات الثلاث حرا تحت بصر رجال البوليس وسمعهم .

طوى دنريس الجريدة وهو غاضب محنق فلم يكن لديه أى شك فى أن فاجيرو هو الذى اتصل بتلك الجريدة وأدلى لهم بما سلف وغمغم :

– سوف تدفع لى ثمن هذا غالياً يا فاجيرو .

استولى عليه الشعور بالقلق والاضطراب .. وأصبح يخيل إليه أن الناس

يترصدونه وأن المارة جميعاً يرقبونه .

لقد وضع له فاجيرو الألغام فى كل مكان ، فهل يلوذ بالفرار ؟

فكر فى وسائل الفرار الثلاث التى يملكها طائرته ، وسيارته وزورقه القديم القابع على ضفة السين .. ولكنه ما لبث أن هز كتفيه وقال لنفسه :

– كلا .. ان من العار على رجل مثلى ان يتقهقر ويفر فى ساعة العمل . ولكن أصبح من الضرورى الآن أن اخلع اسم دنريس ولقب فيكونت .

يمم شطر شارع آرفى ، وأجال البصر فلم ير ما يريبه .. لابد أن فاجيرو وبيشو أطمأنا الى انه لن يجسر على الظهور واقتحام الأخطار التى تترصده ، ولابد أنهما قد نصبا له فخا داخل القصر .

وقف مترددا لحظة وقد شبه له جدار القصر بجدار السجن ، ثم تراءى له وجه أرليت الباسم فهز كتفيه وقال يحدث نفسه :

– كلا يا لوبين .. لا تخدع نفسك .. انك تستطيع أن تدافع عن نفسك دون ان تجازف بحريتك . ان فى استطاعتك أن توضح الموقف كله فى رسالة تبعث بها إلى الكونت فتنقذ أرليت من المصير الذى ينتظرها دون أن تغامر بحريتك .

نعم أربعة سطور تكفى لاماطة اللثام عن حقيقة الدور الذى يلعبه انطوان فاجيرو ، ولكن لماذا تكتب هذه السطور الأربعة ؟ وما الذى يمنعك من أن تطرق هذا الباب وتدخل القصر؟ألست من المغامرين طلاب النضال ؟ ألست ممن يبحثون دائما عن الأخطار والمجازفات ؟ أو ليس كل غرضك أن تقابل فاجيرو وجهاً لوجه ؟

وسار الى الباب بخطوات ثابتة ، ودق الجرس .

١٠ المواجهة الرهيبة

قال دنريس للخادم العجوز الذى فتح الباب :

- طاب يومك يا فرانسوا .

ودخل ورد الخادم له التحية وهو يقول :

- اننا لم نرك منذ بضعة أيام .

- هذا صحيح ، فقد شغلتنى عن زيارتكم شئون عائلية كثيرة ، فقد مات قريب لى عن مليون من الفرنكات وأنا وريثه الوحيد .

- اذن دعنى أهنئك بهذا الميراث يا سيدى .

- اننى لا أزال متردداً فى قبوله يا فرانسوا .

- يا إلهى ! أيمكن هذا ؟

- طبعاً .. انه ترك مليون فرنكا ديناً عليه .

وضحك وتقدم من السلم ، ولاحظ وهو يفعل ذلك ان الستارالذى يغطى نافذة قاعة الانتظار قد تحرك بسرعة ، وكانت هذه الحركة كافية لأن يرى وجه بيشو من وراء الستار .. وقال :

- أرى أن مفتش البوليس هنا يا فرانسوا .. ألا يزال يشتغل بتحقيق

حادث سرقة المجوهرات .

- نعم يا سيدى . وقد قيل انه ينتظر حدوث مفاجآت ، وجاء بثلاثة من عوانه .

ابتسم دنريس وقال لنفسه :

- ثلاثة من أعوانه .. ثلاثة من أشد أعوانه وأقواهم طبعاً .

وصعد درجات السلم بخطى ثابتة ، ودخل قاعة الاستقبال ، حيث وجد الكونت وشقيقته ، وأرليت وفاجيرو وفان هوبن .. وكان الآخرون قد جاءوا لوداع الكونت والكونتس .

كان الاجتماع يسوده جو من الهدوء والسعادة فاستولى على دنريس شيء من التردد حين خطر له أنه سيعكر صفو هذا الاجتماع بعد دقيقة أو دقيقتين على الأكثر .

رحبت به الكونتس ، وشد الكونت على يده ، واستقبلته أرليت بسرور حقيقى .. لاشك ان أحداً منهم لم يقرأ صحيفة المساء التى كانت تطل من جيب دنريس .

أما فان هوبن فقد رد على تحية دنريس ببرود ، ولم يتحرك فاجيرو من مكانه وراح يتصفح مجموعة من الصور الفوتوغرافية فى تحد ظاهر فقرر دنريس أن يبدأ المعركة فى الحال فقال :

- إن شعور مسيو فاجيرو بالسعادة يشغله عن كل شيء حتى عن رؤيتى .

لم يتحرك فاجيرو ووجد دنريس أن الفرصة سانحة لمواصلة الهجوم بعد هذه المفاجأة وقبل أن يتمكن غريمه من الاستعداد ، فقد كان يعلم أن البدء

بالهجوم هو نصف الانتصار .

اقترب من أرليت وأمسك بيديها بين يديه وسألها فى غير كلفة :

– ولكن هل أنت سعيدة حقاً يا أرليت ، وغير أسفة على شىء ؟

فدهش الكونت والكونتس لهذه اللهجة التى لم يألفاها فى أحاديث دنريس مع أرليت ووقف فاجيرو وقد أمتقع وجهه .

أجابت أرليت وهى تنظر الى دنريس بعينين باسمتين :

– نعم . أنا سعيدة ، فجميع مشروعاتى توشك أن تتحقق .

– ان المسألة ليست مشروعات يا صديقتى الصغيرة .. انما المهم هو سعادتك الشخصية وحقك فى الزواج من الشخص الذى تحبينه .

احمر وجه أرليت ولم تجب ، وامتعض الكونت دى ميلامار وقال :

– الحق اننى لا أفهم معنى لهذا السؤال ، فالموضوع يتعلق بأنطوان وخطيبته وحدهما .

وقال فان هوبن :

– وليس من اللائق ..

قاطعه دنريس فى لطف :

– ليس من اللائق كذلك أن تضحى أرليت بسعادتها على مذبح مشروعاتها الإنسانية وتتزوج عن غير حب . هذا هو الموقف على حقيقته ويجب أن تعرفه يا سيدى الكونت قبل فوات الوقت .. ان أرليت لا تحب انطوان فاجيرو .. أليس كذلك يا أرليت ؟

أطرقت أرليت برأسها ولم تجب ، واقترب فاجيرو من دنريس وقد

ارتسمت على وجهه علامات الغضب وسأله .

– ما شأنك أنت والكلام فى هذا ؟

– ذلك شأنى ، لأن سعادة الفتاة فى خطر .

– أتزعم انها لا تحبنى ؟

– انها لا تحبك .

– وماذا تريد الآن ؟

– أريد أن أحول دون هذا الزواج .

انتفض فاجيرو غضباً وصاح :

– اذن صبراً .. سنصفى هذه المسألة بأسرع ما يمكن .

ومد يده فاختطف الجريدة من جيب دنريس ، وبسطها أمام الكونت وهتف :

– خذ وأقرأ يا صديقى العزيز . اقرأ لتعرف من هو هذا السيد المحترم اقرأ ما نشر بالصفحة الثالثة على الأقل .

وراح بنفسه يقرأ النبأ الذى نشرته الجريدة بتوقيع " قارئ " واصغى الكونت إليه فى دهشة وذهول .. أما أرليت فانها جعلت تنظر الى دنريس بعينين واسعتين كأنها لا تصدق أذنيها .

لم يحرك دنريس ساكناً .. كل ما هنالك انه قاطع فاجيرو بقوله :

– ولماذا تقرأ النبأ يا انطوان ؟ فى استطاعتك أن تقوله ارتجالاً ما دمت أنت الذى أوعزت بنشره .

ساد عقب ذلك صمت طويل .. وراح الكونت والكونتس ينظران الى

دنريس فى فزع وذعر .. وابتسم دنريس وقال يخاطب فاجيرو :

– والآن فى استطاعتك أن تدعو بيشو .

ثم التفت الى الكونت واستطرد :

– نعم . يجب أن تعلم يا سيدى الكونت أنه جاء هنا بالمفتش بيشو دون علمك ، لكى يعتقلنى ، وهأنذا على استعداد .. اننى أنبأته سلفاً بعزمى على الحضور فى هذا الموعد ، وأنا رجل عرفت بوفائى وصدقى .. والآن ، تعال ياعزيزى بيشو ، فلا يخلق بشرطى محترم مثلك أن يتوارى هكذا خلف الستائر .

تتحرك الستار ، وخرج بيشو وعلى وجهه دلائل العزم .. وهنا هتف فان هوبن :

– هلم يا بيشو .. هو ذا سارق المجوهرات .. قم بواجبك واقبض عليه . انك تمثل العدالة هنا .

فقال الكونت :

– صبراً أيها السادة .. اننى أرجو أن يتم ما يراد عمله فى بيتى بكل هدوء وانتظام .

ثم تحول الى دنريس وقال له :

– من أنت يا سيدى ؟ اننى لا أطالبك بدحض التهم التى تضمنها مقال هذه الجريدة ، وانما أريد فقط أن أعرف اذا ما كنت أستطيع أن أنظر إليك دائما على انك الفيكونت دنريس .. أو ..

أجاب دنريس :

– ليس فى نيتى أن أجيبك على سؤالك يا سيدى الكونت لأنه ليس من

المهم أن تعرف من أنا .. انما المهم أن تعرف من هو انطوان فاجيرو .

هم فاجيرو بالهجوم على دنريس ولكن الكونت أمسك به ، واستطرد دنريس قائلاً :

اذا كنت قد جئت الى هنا دون أن أرغم على المجيئ ، وجئتوفى جيبى هذه الجريدة ، وأنا أعلم أن بيشو ينتظرنى هنا بإيعاز من فاجيرو ، فمعنى ذلك أننى أشعر بأن الخطر الذى استهدف له لا يذكر بالقياس الى الخطر الذى تتعرض له أنت ، أو بالخطر الذى يهددك يا سيدى الكونت ، ويهدد شقيقتك الكونتس .

" أما حقيقة اسمى وشخصيتى فمسألة يمكن تسويتها بينى وبين بيشو على انفراد .. والمسألة الوحيدة الخطيرة الآن هى معرفة من هو انطوان فاجيرو .

فتخلص فاجيرو من قبضة الكونت ووثب نحودنريس وهو يصيح :

– من أنا اذن ؟ من أنا ، أجب .

أجاب دنريس وهو يحصى على أصابعه :

– أنت سارق المجوهرات .

صاح فاجيرو :

– أنت تكذب .. أنا سارق المجوهرات ؟

– وأنت الرجل الذى اختطف ريجينى وأرليت .

– أنت تكذب .

– وأنت الذى سرق الأشياء التى فقدت من هذه الغرفة .

- أنت تكذب .

- وأنت شريك للمرأة التى قتلت فى حدائق مارس .

- أنت تكذب .

- وشريك لورنسا مارتن وأبيها .

- أنت تكذب .

- وأخيراً أنت آخر سلالة تلك العائلة المخيفة التى تضطهد أسرة ميلامار منذ ثلاثة أرباع القرن .

كان فاجيرو يرتجف غضبا ويزداد صراخه مع كل تهمة جديدة .. وهتف

- أنت تكذب ..أنك ترسل الكلام على عواهنه لأنك تحب أرليت وتوشك أن تنشق غيظاً وتموت غيرة . ثم انك خائف ، لأنك تعلم اننى أملك جميع الأدلة الكافية (ودق على جيبه حيث توجد حافظة أوراقه) أملك جميع الأدلة التى تثبت ان بارنيت وجان دنريس هما أرسين لوبين .. نعم ، أرسين لوبين .. أرسين لوبين .

وراح فاجيرو فى غضبه يردد اسم أرسين لوبين بصوت حاد ثاقب فقال دنريس بلطف :

- ان صوتك يخدش آذاننا يا أنطوان .

ولكن فاجيرو استمر يصيح فقال له دنريس :

- أنصحك للمرة الأخيرة أن تتكلم بصوت خافت .. وإلا حدث ما تندم عليه .. ألا تكف عن الصياح ؟ .. حسناً .

وجمع دنريس قبضة يده ، ولكم بها فاجيرو لكمة قوية ، رفعته عن قدميه

وألقت به على الأرض فاقد الرشد .

ساد الهرج والمرج ، وتقدم الكونت وفان هوبن للقبض على دنريس ، فى حين جثت أرليت وجيلبرت بالقرب من فاجيرو للعناية به .. ولكن دنريس دفع الجميع بيديه وقال محدثاً بيشو :

- ساعدنى على حمله يا بيشو .. إلى أيها الزميل القديم .. إنك الوحيد هنا الذى يعرفنى حق المعرفة ويعلم اننى لا أقدم على عمل جزافاً .

ولكن بيشو صم أذنيه عن نداء دنريس ، وقال يخاطبه :

- هل تعلم أن ثلاثة من رجالى يراقبون المنزل من الخارج ؟

- أعلم ذلك .. واعتمد عليك فى استخدامهم ضد العصابة الشريرة التى سأميط اللثام عن أعضائها .

- وضدك أيضاً .

- هذا اذا طاوعك قلبك وشعورك .. انك اليوم سيد الموقف فقم بدورك فى غير رحمة فهذا من حقك وذلك واجبك .

وهنا التفت بيشو الى الكونت وقال :

- أرجوك أن تعتصم بالصبر يا سيدى الكونت فى سبيل الحق والعدالة ، وسنعرف حالاً نصيب التهم التى وجهت الى فاجيرو من الصحة .. ومهما يكن من أمر فاننى مسئول تماماً عن كل ما يحدث .

كانت العبارة الأخيرة بمثابة اطلاق يد دنريس فى العمل فانتهز الفرصة وأقدم على أفظع فعلة يتصورها العقل ، أذ أخرج من جيبه زجاجة صغيرة صب منها قطرات على منديله ، ثم وضع المنديل على أنف فاجيرو ، وماكاد يفعل حتى انتشرت فى الغرفة رائحة الكلوروفورم .. وثارت ثائرة الكونت

هو يرى دنريس يخدر خصمه ولكن بيشو سارع الى تهدئته قائلا .

– أنني أعرف هذا الرجل يا سيدى الكونت ، وأعرف أساليبه فى العمل ، ’رى من الواجب أن نتريث .

ونهض دنريس واقفاً ، واقترب من الكونت وهو يقول :

– أرجو المعذرة يا سيدى الكونت ، وأرجو أن تكون على يقين من اننى : أصدر فى أعمالى عن قسوة أو حنق .. بيد ان كشف الحقيقة يتطلب فى عض الأحيان أن يلجأ الانسان الى أساليب غير عادية .. والحقيقة التى عنيها الآن هى سر المؤامرة المخيفة التى دبرت ضد أسرتك وضدك .. ننى أعرف سر اللعنة التى تطارد أسرة ميلامار ، ولم يبق أن تعرف أنت ’يضاً هذا السر ، فهل تضن على بثقتك لمدة عشرين دقيقة .. عشرين دقيقة ' أكثر .

ولم ينتظر جواب الكونت وإنما تحول الى فان هوبن وقال له بلهجة جافة :

– انك وشيت بى .. ولكنى أتجاوز عن ذلك الآن .. أنت تريد المجوهرات التى سرقها منك هذا الرجل ؟ أليس كذلك ؟ .. اذن يجب أن تلزم الصمت الى النهاية .. وأنا كفيل بأن يرد إليك هذا الرجل ما سرق .

ثم التفت الى بيشو وقال له :

– أما أنت فسيكون نصيبك من الغنيمة أن تعرف الحقيقة أولاً .. تلك الحقيقة التى تبحث عنها إدارة البوليس ولا تستطيع الاهتداء إليها . وسأقدم إليك بعد ذلك فاجيرو .. وشريكيه لورنسا وأباها .. ان الساعة الآن الرابعة،ففى الساعة السادسة تماماً أقدم لك هؤلاء جميعاًهل اتفقنا؟ وليكن معلوماًأنه اذادقت الساعة السادسة دون أن أفى بوعدى فأكشف عن سر آل

ميلامار، وأميط اللثام عن الحقيقة كلها، وأضع بين يديك جميع الأشقياء فأقسم أن أقدم إليك يدى لتغلهما بالأصفاد وأرشدك إلى حقيقة أمرى .. وهل أنا جان دنريس أو جيمس بارنيت أو أرسين لوبين .. والآن هل لديك إحدى سيارات البوليس .

– نعم .. انها فى الانتظار بالقرب من هنا .

– أرسل فى طلبها .. وأنت يا فان هوبن ، أين سيارتك ؟

– لقد أمرت سائقى أن يلحق بى الى هنا فى الساعة الرابعة .

– وكم تسع من الأشخاص ؟

– خمسة أشخاص .

– حسناً .. لا لزوم للسائق . تستطيع أن تسوقها بنفسك .

واقترب دنريس من فاجيرو وأصغى الى تنفساته ثم قال :

– لن يستيقظ قبل عشرين دقيقة على الأقل .. وهذه المدة تكفى للوصول الى حيث يجب أن نذهب .

– الى أين ؟

– سوف ترى .

***

وهكذا سيطر دنريس على الموقف بأسرع من لمح البصر ولم يلق مقاومة واعتراضاً من أحد ، وراح الجميع ينظرون إليه بمزيج من الدهشة والرهبة واقترب منه فان هوبن وقال :

– يا عزيزى دنريس ، اننى لم أغير رأيى فيك قط فأنت الوحيد الذى

يستطيع أن يرد الى مجوهراتي .

واقبلت سيارة البوليس ، فقال بيشو لأعوانه الثلاثة فى همس :

– راقبوا دنريس جيداً ولا تدعوه يغيب عن أنظاركم لحظة واحدة .

وركب هو والكونت والكونتس وأرليت سيارة فان هوبن ، وتولى هذا الأخير قيادة السيارة .. وتبعتهم سيارة البوليس وبها رجال الشرطة الثلاثة وفاجيرو وهو لا يزال تحت تأثير المخدر .

وقال دنريس لفان هوبن :

– سر بمحاذاه نهر السين ، واعبر النهر عند جسر التويلرى ، ثم اعرج الى اليمين فى شارع ريفولى .

وانطلقت السيارتان والجميع فى أشد الفضول الى معرفة الغاية التى يرمى إليها دنريس .. وقال هذا الأخير بصوت خافت كمن يحدث نفسه :

– كم فكرت وعصرت ذهنى لمعرفة سر آل ميلامار .. شعرت بالغريزة منذ البداية ، أى منذ حوادث الاختطاف الأولى اننا أمام مشكلة من النوع الذى يجب أن يعود فيه الانسان الى الماضى البعيد لتفسير أحداث الحاضر .

" كنت واثقاً منذ البداية ان الكونت وشقيقته لا يمكن أن يكونا مجرمين فرحت أسأل نفسى .. ترى هل هناك عصابة من الأشقياء والمجرمين اتخذت قصر ميلامار مسرحاً لأعمالها ؟

كان ذلك هو تفسير فاجيرو للأحداث .. ولكن فاجيرو كانت له كل المصلحة فى إخفاء الحقيقة وتضليل العدالة ، يضاف إلى ذلك انه كان من المستحيل تقريباً .. أن تنتقل ريجينى وأرليت الى القصر دون أن يشعر

الكونت والكونتس وفرانسوا وزوجته .

وصمت دنريس فهتف الكونت .

- أرجوك أن تتكلم .

أجاب دنريس :

- كلا فالكلام لن يوضح لك الحقيقة فصبراً .

والواقع أن الحقيقة غاية في البساطة ، وطالما سألت نفسي كيف أمكن أن تغيب حتى الآن عن أولئك الذين يبحثون عنها .

" أما أنا فقد تبلجت لي هذه الحقيقة عقب حادث السرقة الغريب الذي وقع في القصر .. أعني عقب اختفاء تلك الأشياء التافهة .. فقد قلت لنفسي في ذلك الوقت إذا كان اللصوص قد سرقوا هذه الأشياء التي ليست لها أية قيمة حقيقية ، فمعنى ذلك أن لتلك الأشياء قيمة خاصة عندهم .

وصمت مرة أخرى ، والحف عليه الكونت في أن يتكلم فقال :

- أرجوك أن تعتصم بالصبر يا سيدي الكونت .. لقد صبر آل ميلامار أكثر من قرن .. فلينتظروا بضع دقائق أخرى .

وانحرفت السيارة في هذه اللحظة في شارع ريفولي ، فقال دنريس مخاطباً فان هوبن :

خفف السرعة قليلاً يا فان هوبن .. هذا حسن .. والآن قف بالسيارة إلى اليمين .. نعم ، هنا .

ووثب من السيارة ، وساعد جيلبرت وأرليت على الهبوط منها ، ووقفت سيارة البوليس هي الأخرى خلف سيارة فان هوبن .

وقال دنريس محدثاً بيشو :

– فليبق رجالك هنا مع فاجيرو .. ولينتظروا دقيقتين أو ثلاثا حتى نطلب إليهم نقله .

* * *

وسار القوم فى الظلام الدامس يتقدمهم دنريس ، وانحدروا فى زقاق ضيق تقوم حوله منازل مرتفعة .. ووقف دنريس أخيراً أمام باب منخفض ، وأخرج من جيبه مفتاحاً وضعه فى ثقب القفل وهو يبتسم فى حين بدت على وجوههم جميعاً علامات القلق والفضول .

أدار المفتاح وفتح الباب .. ودخل ثم أفسح الطريق للكونت والكونتس .

ولكن لم تكد الكونتس تخطو خطوة الى الأمام حتى أفلتت منها صيحة ذهول .. واستندت الى كتف أخيها .

أما الكونت فانه ترنح فى مكانه .. فأسرع دنريس إليه ليمنعه من السقوط .

* * *

١١ العشيقة

معجزة غريبة .. فقد غادروا فناء قصر ميلامار منذ بضع دقائق ، ولكن هاهم يجدون أنفسهم مرة أخرى فى فناء قصر ميلامار ، رغم أنهم عبروا نهر السين ، ورغم ان السيارة قطعت بهم ثلاثة كيلومترات على الأقل .

نعم ، وجدوا أنفسهم فى فناء قصر ميلامار ، فهاهى الجدران بعينها ، وها هو السور ، وهاهى الدرجات الستة المؤدية الى الطابق الأول .. وغمغمت جيلبرت وهى تترنح :

- يا إلهى ! .. أهذا ممكن ؟

وتبلجت الحقيقة فجأة أمام الكونت أدريان .. ومر فى ذهنه بأسرع من لمح البصر تاريخ حوادث الاضطهاد المخيفة التى ذهبت بأسلافه .. وصعد درجات السلم ، خلف دنريس ، وهو مشدوه .

وفتح دنريس باب إحدى الغرف وهو يقول :

- وها هى غرفة الاستقبال .. انها بعينها غرفة الاستقبال فى قصر ميلامار .. لا فارق مطلقاً فى شىء من الأثاث والستائر .. ولون الجدران .. وكل صغيرة وكبيرة فى المكان .

ثم التفت الى بيشو وقال :

– والآن يا بيشو ، مر رجالك بأن يأتوا بفاجيرو الى هنا .

خرج بيشو على عجل .. وأرسل أحد رجاله لاستدعاء نجدة من إدارة البوليس ثم تعاون مع الرجلين الآخرين على نقل فاجيرو الى قاعة الاستقبال

وبعد لحظة ، بدأ فاجيرو يتحرك فقال دنريس مخاطباً الكونتس :

– أرجوك يا سيدتى أن تخلعى قبعتك ومعطفك ، أود أن تعتبروا أنفسكم فى قصر ميلامار ، وألا ينطق أحدكم بكلمة تنقض ما سوف أقول فان من مصلحتكم جميعاً أن نصل الى الحقيقة .

تنهد فاجيرو ، ورفع يده ببطء الى جبهته ، ونظر الكونت إليه بحدة وقال :

– اذن فهذا الرجل هو من سلالة الأسرة التى ..

قاطعه دنريس :

– نعم .. أنه من سلالة الأسرة التى ناصبت آل ميلامار العداء دون أن يشعر هؤلاء بوجودهم .. ومما جعل الغلبة لأعضاء هذه الأسرة وجود هذا القصر الذى يخيل للناظر إليه أنه صب مع قصر ميلامار فى قالب واحد .

وفى هذه الأثناء كان فاجيرو قد استرد رشده تماماً وبدأ يتذكر .. فتذكر الجدل الذى قام بينه وبين دنريس ، واللكمة التى أصابت فكة ، ولكنه لم يذكر أكثر من ذلك ولم يشعر بأنه غاب عن صوابه بتأثير المخدر .. وغمغم بلهجة الحالم :

ماذا حدث ؟ يخيل الى ان وقتا طويلاً قد انقضى منذ .

قاطعه دنريس وهو يضحك :

– كلا .. لم ينقض من الوقت أكثر من عشر دقائق ، لم أسمع عن ملاكم

يغيب عن صوابه كل هذه المدة .

ونظر فاجيرو إليه فى غضب وقال .

– آه . تذكرت الآن .. انك غضبت وطار لبك شعاعاً لأننى أظهرتك على حقيقتك ، وعرفت فيك أرسين لوبين .

– يالله ! .. ألازلت تتحدث فى هذا .. ان الحوادث تتطورت خلال هذه الدقائق العشر تطوراً عظيماً ولم يعد أحد يهتم بهذا السخف .

– وبماذا يهتمون اذن ؟

ونظر حوله ، فأشاح القوم عنه بوجوههم .. وقال دنريس :

– ان الاهتمام ينصب الآن على تاريخ حياتك وتاريخ أسرة ميلامار .

قال فاجيرو متهكماً :

– كم يسرنى أن أسمع منك تاريخ حياتى ، تكلم اذن ، ومتى فرغت سردت تاريخ حياتك .

– تاريخ حياتى ؟ .. وفقا للوثائق التى تحملها فى جيبك ؟

– نعم .

– ولكن لا توجد فى جيبك وثائق .

فبحث فاجيرو فى حافظة أوراقه ، ثم سب وشتم وصاح :

– انك سرقتها .

– ألم أقل لك أن وقتنا لا يتسع للبحث فى أمرى ؟ .. بحسبنا الآن أن نتحدث عنك .. والآن أرجو التزام الصمت .

فعقد فاجيرو ساعديه فوق صدره ووقف بحيث لا ترى أرليت وجهه ،

وتحول دبريس إلى الكونت وبدأ حديثه فقال

أرجو المعذرة اذا اضطرتنى الظروف أن أخوض فى تاريخ أسرتك ولكنى وجدت ، كما سبق أن قلت لك ، أن الحوادث الحاضرة لا يفسرها غيرالماضى البعيد ، وقد يدهشك أن تعلم أن جميع النكبات التى نزلت بأسرتك يرجع سببها إلى حادث غرامى تافه وقع فى القرن الثامن عشر ، أى فى العهد الذى شيد فيه قصر ميلامار . ان الذى شيد هذا القصر هو أحد أسلافك ، المدعو فرنسوا دى ميلامار وكان قد اقترن بفتاة حسناء تدعى هنرييت ، ابنة أحد كبار رجال المال فى باريس فى ذلك العهد وقد تفانى فى حب زوجته وأراد أن يوفر لها كل أسباب النعمة والرفاهية فشيد لها هذا القصر واستخدم فى بنائه أمهر العمال والفنانين ثم أجتلب له أفخر الأثاث . وعاش الزوجان فى رغد وسعادة الى أن شاءت الأقدار السيئة ان يغرق فرانسوا الى أذنيه فى غرام ممثلة تدعى فالنيرى كانت ذات شباب وجمال صارخ وأطماع كبيرة .

تعلق فرانسوا بهذه الممثلة ، ولكنه لم يغير من حياته المنزلية فى الظاهر شيئاً وحرص أشد الحرص على أن لا تدرى زوجته بعلاقته بفالنيرى ، فكان يخرج من منزله فى الساعة العاشرة من صباح كل يوم بحجة رغبته فى النزهة ، فيقصد لتوه الى بيت عشيقته ، ويتناول معها طعام الغداء ، ويعود الى قصره فى المساء .

كان هناك شيء واحد ينغص حياته وذلك هو إضطراره الى هجر قصره المحبوب بشارع أرفى ، وقضاء أكثر ساعات النهار فى بيت عشيقته ، بين أثاث ومناظر غير مألوفة بعيداً عن قطع الأثاث الثمينة التى إجتلبها إرضاء لذوقه ونظمها وفق ميوله ولكى يوفر لنفسه كل أسباب المتعة فيشعر مع

عشيقته أنه فى بيته أنشأ قصراً آخر على الضفة الثانية لنهر السين ، وعنى أن يكون ذلك القصر مماثلاً تماماً لقصره الأول ، واستخدم لهذا الغرض نفس العمال ونفس الفنانين واجتلب مثل الأثاث الذى فرش به قصره الأول ، وحرص فقط على أن يكون هناك إختلافاً بيناً بين منظرى القصرين من الخارج حتى لا يفطن أحد الى الحقيقة .

ولكن فالنيرى سرعان ما عرفت السر ، وأدركت أن عشيقها إنما أراد ببناء ذلك القصر ان يخلق حوله الجو الذى يعيش فيه مع زوجته ، كأنما كان عزيزاً عليه أن يفترق عن تلك الزوجة ، فثارت ثائرتها ، وتملكها الغضب ، وطلبت منه أن يختار بينها وبين زوجته ، فلم يتردد الرجل فى العودة الى سواء السبيل ، وهكذا ترك عشيقته ، وترك لها القصر الذى كان قد أطلق عليه اسم " قصر فالنيرى " نسبة إليها .

اشتد الغضب بالعشيقة ، فقصدت إلى قصر شارع آرفى وفى نيتها أن تثير حول عشيقها فضيحة تجعل اسمه مضغة فى الأفواه .. ومن حسن الحظ لم تكن هنرييت فى القصر وقتذاك .. فقابل فرانسوا عشيقته السابقة وحاول ان يتخلص منها بالحسنى .. ولكنها اضطرته آخر الأمر أن يوعز الى الخدم بطردها .

عمدت فالنيرى بعد ذلك إلى الاهانة والتهديد .. ولم يجد فرانسوا بداً أن يأخذها بالقسوة واستعمل نفوذه الواسع واستطاع ان يلقى بها فى سجن الباستيل حيث قضت عامين .

وخرجت المرأة من السجن وهى لا تفكر إلا فى الانتقام ، وكان جمالها قد ذبل أثناء وجودها فى السجن .. وحدث بعد ستة شهور أن نشبت الثورة الفرنسية الكبرى فاقترنت فالنيرى برجل يدعى مارتن كان من المقربين الى

فوكيه تنفيل ، أحد جبابرة الثورة ، فاستطاعت أن تشي بعشيقها السابق بدعوى انه من النبلاء أعداء الثورة ، وهكذا أعدم فرانسوا دى ميلامار وزوجته هنرييت .

وهكذا انتقمت فالنيرى لنفسها .. ولكنها لم تنس سر التشابه العجيب بين قصرها وقصر ميلامار ، فلما مات زوجها مارتانَ فوق المشنقة بدوره ، عادت راجها إلى قصرها واعتزلت فيه الناس مع ابنها الذى رزقت به من زوجها .. وأنشأت هذا الابن على كراهية أسرة ميلامار ، ذلك لأن إعدام عشيقها وزوجها لم يشف غليلها .. ومما زاد فى حنقها أن يوليوس دى ميلامار ، الابن الأكبر لفرانسوا ، أصاب شهرة ومجداً فى جيش نابليون ، وأصبح من ذوى الشخصيات البارزة .. ثم تقلب فيما بعد فى مناصب دبلوماسية هامة فقررت أن تطارد سلالة عشيقها بنقمتها وان تجلب عليهم العار والدمار فدبرت المؤامرة التى ألقت بيوليوس دى ميلامار فى السجن . وكان قوام هذه المؤامرة وأساسها وسرها التشابه العجيب بين قصر شارع آرفى .. وقصر فالنيرى .

وتوفيت فالنيرى بعد اثنين وعشرين عاماً وهى تناهز المائة ، وكان ابنها قد سبقها الى القبر .. بيد أنها تركت وراءها حفيداً فى الخامسة عشرة من عمره يدعى دومينيك ، كانت قد أنشأته على كراهية أسرة ميلامار .. ودلته على الطريقة التى يستطيع بها أن يفيد من التشابه العجيب بين القصرين .. وقد عرف دومينيك مارتان كيف يستغل هذا التشابه فى المكيدة التى دبرت لألفونس دى ميلامار ، ونجح فى تنفيذها أبعد حدود النجاح .

وكانت التهمة التى وجهت الى الفونس دى ميلامار وثبتت ضده هى أنه قتل امرأتين فى قاعة استقبال لا يمكن إلا أن تكون قاعة الاستقبال فى

قصر شارع أرفى .

ودومينيك مارتان هذا هو العجوز الأعرج الذى يبحث عنه رجال البوليس وهو كذلك والد لورنسا مارتان والمرأة المعروفة باسم مدام تريانون .

ولست أعرف على وجه التحقيق كيف كان دومينيك يعيش ، ومن أى مصدر كان ينفق .. ولكن الذى أعرفه هو أنه اقترن بامرأة شريفة ماتت فى مقتبل العمر وتركت له ثلاث بنات هن فيكتورين الشهيرة بمدام تريانون ولورنسا وفيليستيه ، وقد ورثت الأخيرة عن أمها طباعها الطيبة ورفضت أن تساهم مع أبيها فى مغامراته ، وما لبثت ان اقترنت برجل يدعى فاجيرو ورحلت معه الى أمريكا .

ومرت خمسة عشر عاما ، ساءت فى خلالها أحوال دومينيك ، ولكنه لم يرض ببيع قصر فالنيرى بأى ثمن ، وذلك لكى يفيد منه فى أول فرصة ، أى عندما يعود آل ميلامار الى قصرهم الذى هجروه ، إعتقادا منهم بأنه يجلب عليهم النحس ، ولعلك تذكر يا سيدى الكونت أن أباك لم يضع قدمه قط فى هذا القصر ، وأنه عاش ومات فى الأرياف .

وحانت الفرصة أخيرا بعودتك يا سيدى الكونت الى باريس ، وإقامتك مع شقيقتك فى قصر شارع أرفى ، فأخذ دومينيك وابنتاه يفكرون فى طريقه لاستثمار التشابه العجيب بين القصرين على النحو الذى أودى بحياة يوليوس والفونس دى ميلامار .

وحدث فى هذه الأثناء أن توفيت فيليستيه فى بونس ايرس ، ثم لحق بها زوجها ، وتركا ولدا فى السابعة عشرة من عمره يدعى انطوان .

وجد انطوان نفسه وحيداً فقيراً ، وتاقت نفسه الى شهود باريس ، فسافر إليها .. واتصل بجده دومينيك وخالتيه فيكتورين ولورنسا ، ولم يكن

يعلم من الماضى شيئاً ، ووجد جده وخالتاه انه فتى ذكى لبق وشريف ، فتركوا للزمن أن يسوقه الى حظيرتهم ، وشجعوه على الخمول والعبث وأمدوه بالمال ، وشجعوه على أن يوطد صلاته بالأوساط الراقية ، ثم جاء يوم أعلنوه فيه بأن موردهم قد نضب وانه لم يعد فى مقدورهم ان يمدوه بالمال ، وأصبح يتعين عليه أن يجد لنفسه عملاً .. ولكن أى عمل يجيده هذا الشاب المرفه الوسيم .

وانتهزت خالتاه هذه الفرصة وحدثتاه بالماضى وذكرتا له التشابه العجيب بين قصر فالنيرى وقصر دى ميلامار ، وأشارتا عرضاً الى إمكان الاستفادة مادياً من هذا التشابه .

ووفق انطوان فاجيرو بعد ذلك فى التعرف بالكونت دى ميلامار وشقيقته ، ووجد أن الفرصة سانحة ، فقد كانت الكونتس على جانب كبير من الجمال والغنى ، وكانت قد طلقت لتوها من زوجها الأول ، فعقد الأمل على أن يقترن بها .

صاح فاجيرو عندئذ :

– إنك تكذب .. انت انما تريد أن تشوه نواياى وأن تحق شعورى نحو جيلبرت .. اننى لم أطمع قط فى مالها .

أجاب دنريس :

– لم أقل أنك كنت تطمع فقط فى مالها .. ومهما يكن فان مشروعاتك تكللت بالفشل فقد كنت من الحماقة بأن تحدثت الى الكونتس فى شىء من الجرأة والجسارة فأمرت الخدم بطردك .

وتحول دنريس إلى الكونت واستطرد :

– وهكذا انهارت آمال انطوان فاجيرو ولم يجد مفراً من الانضمام الى دومينيك وابنتيه واقسم معهم أن ينتقم . وغاب عن باريس فترة من الزمن ارتكب فى خلالها بعض حوادث الإحتيال والتزوير ، ثم عاد الى باريس أخيراً .. وشرع فى بيع مخلفات الممثلة فالنيرى رغم احتجاج دومينيك ، وهكذا أخذ قصر فالنيرى يخلو بالتدريج من تحفه الفنية الأثرية الثمينة .

" ولكن ماذا يهم ، طالما قاعة الاستقبال لا تزال على حالها ، وبها جميع قطع الأثاث التى تجعل منها صورة مماثلة لقاعة استقبال قصر ميلامار .

" على ان لورنسا مارتان كانت أشد الجميع حماسة لتراث الحقد فأشفقت أن تكون يد انطوان قد امتدت الى بعض محتويات غرفة الاستقبال وبذلك يضيع التشابه بينها وبين غرفة الاستقبال فى قصر ميلامار ، وفى إحدى الليالى تسللت الى قصر دى ميلامار ودخلت غرفة الاستقبال ولاحظت وجود أشياء تافهة لا مثيل لها فى قصر فالنيرى فحملتها معها واتخذت من الإجراءات ما يجعل التشابه تاماً بين الغرفتين ومحتوياتهما .

وفى هذه الأثناء ساءت حال آل مارتن كثيراً فتفتق ذهن لورنسا عن مغامرة حفلة الأوبرا ، ووقع كل شيء كما رسمت ، وبعد ساعتين من وقوع حادث الاختطاف تسللت الى قصر ميلامار ، وأخفت الجاكتة هناك حيث وجدها بيشو فيما بعد .

وصمت دنريس ، ونظر الكونت الى فاجيرو نظرة حقد وغضب ، فقهقه هذا وهتف :

– كل هذا بديع .. هذه فى الحق قصة لا تنقصها المفاجئات ، ودعنى أهنئك يا دنريس على خصوبة خيالك ، ويكفينى ، دون أن أتعرض لقرابتى المزعومة لأسرة مارتان أو لقصر فالنيرى الذى لا وجود له إلا فى مخيلتك ،

يكفيني أن أقول أن دوري كان يختلف كل الاختلاف عن هذا الدور الذي تنسبه إلي ، فأنا لم أختطف أحد ، ولم أسرق المجوهرات ، وجميع أصدقائي هنا يستطيعون أن يؤكدوا لك بأنني لم أصدر في شيء من أعمالي عن مأرب شخصي أو غرض ذاتي .

فلم يعبأ به دنريس واستطرد :

– هناك أشخاص لا يسع الانسان إلا أن ينخدع بمظاهر الشرف والأمانة التي تلوح على وجوههم .. وأنطوان فاجيرو من هؤلاء الأشخاص . غير انني لم أنخدع به ، وارتبت فيه منذ رأيته في الحانوت ، وزادت ريبتي حين سمعت حديثه وأنا مختبئ مع بيشو وراء الستار .

" لاحظت وأنا اسمع حديثه أن خطته قد انقلبت فجأة ، فأصبح شديد الحماسة لآل ميلامار ، شديد الرغبة في الدفاع عنهم . فما السر في هذا الانقلاب .

" السر أنه عرف أرليت الحسناء وأحبها ، وكان قد رأى أرليت قبل ذلك . ولعلك تذكر يا سيدي الكونت انك قابلت أرليت مرة ولاحظت الشبه العظيم بينها وبين ابنتك التي ماتت .. وانك تعقبتها مرارا لتملأ عينيك من وجهها الذي يذكرك بوجه ابنتك .. وكان فاجيرو في هذه الأثناء يراقبك ، ويتبعك كظلك فرأى أرليت وأحبها ، وقد وجد من سهولة اختطاف ريجيني ما شجعه على اختطاف أرليت بمعونة خالته لورنسا .. وكان يرجو من وراء ذلك أن يسجن الفتاة ويسيئ معاملتها حتى ترضخ له ، فلما فرت استولى عليه الحزن واليأس .

" وأراد أن يراها ويتصل بها بأي ثمن ، فانقلبت خطته رأساً على عقب . وعرف مقرها هي وأمها فذهب إليهما بصفته الصديق الحميم لأسرة ميلامار

واكد لهما براءة الكونت وشقيقته وتوسل الى أرليت أن تعاونه على إثبات هذه البراءة ، وهكذا استطاع أن يفوز بعطف الجميع وثقتهم ومكنه ذلك من أن يحمل أرليت على قبوله زوجا لها .

* * *

١٢ أرســين لوبــين

صاح فاجيرو :

- أنت تكذب .. ان غيرتك تتجلى فى كل كلمة تنطق بها .

فاستطرد سنريس دون أن يعبأ به :

- نال فاجيرو عطفكم وثقتكم وأرضى شعوره الشخصى ولكنه أغضب أقاربه لسببين ، أولهما أنه خيب رجاءهم فيه واعتزم الزواج من فتاة فقيرة ووثق أواصر صداقته مع أسرة الأمراء .. وثانيهما انه احتفظ بالمجوهرات لنفسه .. ووقع فى هذه الأثناء حادث عرضى فقد كلف النائب ليكورسيه بوضع تقرير خاص بتوسيع شارع دى ماريه حيث يقع قصر فالنيرى ويقتضى هدمه وهو قصر مقدس بالنسبة لدومينيك وابنتاه ، يعتمدون عليه فى مغامراتهم ، فحاولت لورنسا رشوة النائب ولما شعرت بالفخ الذى نصب لها قتلت النائب بمعونة أبيها .

هتف فاجيرو :

اننى لم أعلم بمصرع النائب ليكورسيه إلا منك .

- هذا صحيح .. وانا لا اتهمك بالاشتراك فى قتله .. ولكن الذين فتكوا

به هم أقاربك ، ولما فرغوا من النائب تحولوا إليك ، وفكروا فى أول الأمر فى التخلص من أرليت التى أبعدتك عنهم وأنقذك حبك لها من سيطرتهم فاستدرجوها الى الفخ وأوشكوا يقتلوها حرقاً ، لولا إنك جئت فى الوقت المناسب . وحاولوا بعد ذلك ان يحصلوا منك على نصيبهم من المجوهرات فاتصلوا بك تليفونياً فى فندقك وضربت لهم موعداً فى حدائق مارس حيث تألبوا عليك ولكنك تخلصت منهم بعد أن فتكت بخالتك فيكتورين ، الشهيرة بمدام تريانون .

امتقع وجه فاجيرو وتصبب العرق من جبينه فى حين استطرد دنريس

– لم يبق أمامك لتحقيق أغراضك إلا عقبة واحدة وهى أنا.. وجدت أن أفضل وسيلة للتخلص منى هى ان تهاجم ، وهكذا وضعت فى جيب خالتك فيكتورين ورقة عليها اسم أرسين لوبين ثم أوعزت إلى أحدى الصحف بنشر المقال الذى ذكرت فيه أن جان دنريس هو أرسين لوبين وحفزت بيشو بعد ذلك للقبض على وإزالتى من طريقك .. أليس كذلك ؟

أجال فاجيرو البصر حوله ، فرأى الوجوه تتحول عنه . ولكنه صمم على المقاومة الى النهاية فصاح محدثاً دنريس :

– انك وجهت الى عشرات التهم ، ولكن هل تملك دليلاً واحدا على شىء منها ؟

– بل أملك عشرين دليلاً . اننى أعيش منذ ثمانية أيام فى ظل آل مارتان وقد استطعت الحصول على ثقتهم وابتياع أسرارهم .. ولدى رسائل من لورنسا إليك ومنك الى لورنسا .. ومعى دفتر مذكرات بخط فيكتورين يتضمن قصة فالنيرى وتاريخكم جميعاً .

– ولماذا لم تقدم هذه الأدلة الى رجال البوليس ؟

– أولاً لأننى أردت أن أميط اللثام عن وجهك أمام هؤلاء الذين انخدعوا بك ، وثانياً لأننى فكرت فى أن أترك لك سبيلاً واحداً للخلاص وهو أن ترد المجوهرات المسروقة .

– صاح فاجيرو فى غضب :

– ولكنى لم آخذ هذه المجوهرات .

– ان لورنسا مارتان تتهمك بأخذها .. وبأنك أخفيتها .

– أين ؟

– فى قصر فالنيرى .

– أنت تعلم ان هذا القصر لا وجود له إلا فى مخيلتك .

– بل أن هذا القصو موجود ، وقد أهتديت إليه من الأوراق التى كانت على مكتب النائب ليكورسيه يوم مصرعه .

– اذا كان القصر موجوداً فلماذا لا تذهب بنا إليه لنبحث فيه عن المجوهرات ؟

أجاب دنريس فى هدوء :

– اننا فى هذا القصر فعلاً .

– ماذل تقول ؟ نحن هنا فى قصر ميلامار .

– بل نحن هنا فى قاعة الاستقبال التى نقلت إليها ريجينى وأرليت .

فاستولى الذهول على فاجيرو وغمغم :

– هذا مستحيل .

وراح يجيل البصر حوله فى دهشة وذعر ، واستطرد دنريس :

- بل ان هذا هو قصر فالنيرى الذى أقام أسلافك من سلالة الممثلة فالنيرى . وأقمت أنت فيه ردحاً من الزمن

- أنت تكذب .. أنت تكذب .

- وهو محاط الآن برجال بيشو .. وقد هجره دومينيك ولورنسا منذ أيام ، ولكنهما يزورانه خلسة من وقت لآخر ، فهل تريد أن تراهما ؟.. هل تريد أن تشهد القبض عليهما . ان الساعة تدق الآن معلنة السادسة وقد ضربا لى موعدا للمقابلة هنا ، وقد أعتادا الوفاء بالوعد . فهل تريد أن تراهما يا أنطوان من هذه النافذة ؟

اقترب أنطوان من النافذة بحركة آلية .. وحرك الستار فرأى دومينيك ولورنسا يجتازان فناء القصر ، فغمغم

هذا مخيف .. مخيف . اذا قبضتم عليهما فسوف ينتحران . لقد قالا لى ذلك .

ولم يكد يفرغ من كلامه حتى رأى رجال بيشو يطبقون على العجوز وابنته .

انطلق بيشو الى الخارج ليصدر أوامره لرجاله . وتحول الكونت الى فاجيرو وقال له

- والآن جاء دورك . انك أخر سلالة تلك الأسرة اللعينة .. ويجب أن تدفع دينك .

انقلبت سحنة فاجيرو فجأة ، وارتجفت أوصاله .. وسقط رأسه فوق صدره ، وظهرت عليه علامات المذلة والهزيمة .. فأقتربت أرليت من دنريس وهمست فى أذنه :

- أنقذه اذا استطعت . أضرع إليك .

- ولكنه لا يريد إنقاذ نفسه يا أرليت . ان كلمة واحدة ينطق بها تكفى لإنقاذه . ولكنه يرفض النطق بهذه الكلمة .

وهنا رفع فاجيرو رأسه وقال :

- ماذا يجب أن أفعل ؟

- أين المجوهرات ؟ ان القصر محاط برجال الشرطة ، فإذا أردت أن أنقذك منهم فتكلم .. أين المجوهرات .

- وهل يطلق سراحى اذا تكلمت ؟

- نعم . سأعمل على أن ترحل الى أمريكا ، وسيرسل إليك فان هوين مائة الف فرنك الى بونس ايرس .

قال فاجيرو فى صوت خافت :

- انها فى الغرفة المجاورة .

- كلام فارغ فالغرفة خالية من كل أثاث .

- فيماعدا النجفة .. انها تتدلى من السقف باسلاك مزينة من قطع البللور الصغيرة . وقد نزعت بعض هذه القطع ووضعت مكانها الماسات بحيث يخيل للناظر إليها إنها هى الأخرى قطع من البللور .

اسرع ثلاثتهم ، فاجيرو ودنريس وفان هوين الى الغرفة المجاورة . وصعد فان هوين على أحد المقاعد وراح يفتش بين قطع البللور عن ماساته المفقودة ، ولكنه مالبث أن هبط عن المقعد وهو ممتقع الوجه وهتف :

- اننى لا أرى شيئا .

– مستحيل .

ووثب دنريس بدوره فوق المقعد ، وفحص النجفة ثم قال :

– هذا صحيح . أرى آثار سلك مقطوع . لقد سرقت المجوهرات ثانية .

فصاح فاجيرو في ذعر :

– مستحيل .. يا إلهي ! ترى ، هل عثرت لورنسا عليها ؟

ولم ينتظر فان هوبن أكثر من ذلك ، فانطلق الى الخارج وهو يصيح .

– مجوهراتي .. انها مع الشقيين يا بيشو .. يجب أن ترغمهما على الكلام . يجب أن يقولا أين مجوهراتي .

وعاد دنريس وفاجيرو الى قاعة الاستقبال وسأل أولهما الثاني :

– هل أنت واثق أنك أخفيت المجوهرات في هذه النجفة ؟

– أقسم لك انني خبأتها فيها في نفس الليلة ، وكانت لا تزال في موضعها عندما زرت هذا القصر خلسة منذ اسبوع .

اقتربت أرليت من دنريس وقالت له :

– صدقه يا جان .. أنا واثقة انه لم يذكر غير الحقيقة .. وكما أنه أوفى بوعده يجب عليك أن تفي بوعدك وتنقذه .

قال دنريس وهو يفكر :

– هذا عجيب .. أين ذهبت المجوهرات اذن .. لا بأس ، سأفي بوعدي وأنقذك .

بيد انه لم يكد يتم كلامه حتى فتح الباب ودخل بيشو وهو يقول :

– أصدر أوامر صريحة بألا يخرج أحد من هذا القصر .

جلس دنريس على أحد المقاعد وقال وهو يضحك

– هل سمعت يا فاجيرو ؟ .. اذا أردت الخروج فيجب أن ترفع أصبعك وتستأذن بيشو العزيز فى الانصراف .

فصاح بيشو فى غضب :

– كفى هذا .. ان بيننا حساباً يجب تصفيته .

– ما أغلظ قلبك يا عزيزى بيشو . . أنت تريد أن تحيل الموقف الى مأساة فى حين أن مجرد وجودك يجعله مهزلة من الطراز الأول .. ان الحساب بينى وبين فاجيرو قد تمت تصفيته .

– ماذا تقول ؟ .. ما هذا الذى تمت تصفيته ؟

– كل شىء .. ان فاجيرو لم يستطع إرشادنا الى مكان المجوهرات . ولكنى واثق ان العجوز وابنته يستطيعان الارشاد الى مكانها .. وهما فى قبضة يدك والحمد لله .. أما هذا الصديق فاجيرو فاننى ألاحظ من نظرات العطف التى أراها أن الكونت يميل الى الصفح عنه ، ولذلك فاننى أميل الى التسامح معه .

فهتف بيشو :

– بعد اذ هدمته ؟

– اننى لا أنسى انه أنقذ حياتى .

هز بيشو كتفيه وقال :

– مهما يكن من أمر فاننى سأنقل دومينيك مارتان وابنته الى إدارة البوليس .. ولا يزال بالسيارة التى نقلا اليها مكانان خاليان ، أحدهما

لفاجيرو ..

– وعن الآخر ؟

– لك أنت .

– أنا ؟ أتريد أن تقبض علي بعد الذى فعلته من أجلك .. أنني أتعبت نفسي حتي أرشدك الي الحقيقة ووضعت دومينيك وابنته بين يديك وضمنت لك شهرة عالمية سوف ترفع مركزك ، أفبعد كل هذا تريد أن تقبض على دنريس ، الرجل الذى ..

قاطعه بيشو قائلا :

– كلا . أنا لا أقبض علي جان دنريس .

– على من اذن ؟ .. على جيمس بارنيت ؟

– كلا .. وانما على أرسين لوبين .

قهقه دنريس ضاحكا وقال :

– تريد أن تقبض على أرسين لوبين .. ان أرسين لوبين رجل لا يقبض عليه ، ولا يسمح لأحد بأن يضايقه .. رجل لا يطيع أمر أحد .. رجل هادئ مسالم يحب التعاون مع رجال العدالة ، ولكن بطريقته الخاصة .

– كفى سخفا واتبعاني .

– مستحيل .

– هل أدعو رجالي ؟

– انهم لا يستطيعون الدخول ، فأنت في مكمن لصوص كما يجب ان تعرف ، ويوجد فخ في كل ركن من هذا المنزل ، ويكفي أن أضغط على هذا

الزرلكى تهبط لوحات من الفولاذ على جميع أبواب الغرفة ونوافذها فلا يستطيع أحد الدخول .

– ان رجالى يستطيعون تحطيم الباب .

– ادعهم اذن .

أخرج بيشو صفارته من جيبه ووضعها فى فمه فقال دنريس :

– ان صفارتك لن ترسل صوتا .

فنفخ بيشو فى الصفارة :

– ولكنها لم تصدر صفيراً فانفجر دنريس ضاحكا وهتف :

– أتريد بعد ذلك أن تناضلنى ؟ اصغ الى يا عزيزى . . اذا كنت انا لوبين حقاً ، فهل تعتقد اننى اجئ الى هنا بين فرقة من رجال البوليس دون أن أكون قد اتخذت احتياطاتى سلفاً .. هل تعتقد اننى لم أتوقع سلفاً هذا الجحود والنكران من ناحيتك .. لقد قلت لك ان القصر حافل بالفخاخ . اننى لم أزر هذا القصر مرارا عبثاً وأعرف السرداب السرى الذى يوصل من هذه الغرفة الى اصطبل للمركبات فى نهاية هذا الشارع . اننى حر ، أستطيع الخروج من هنا متى شئت .. وسأصطحب معى فاجيرو ، فلا تضيع وقتك .

قال ذلك ثم أشار الى لوحة من اللوحات الخشبية التى تغطى الجزء الأسفل من جدار الغرفة وقال محدثاً فاجيرو :

– اقترب من هذه اللوحة يا فاجيرو واضغطها بيدك فتتحرك ، وتنكشف عن ثغرة توصل الى السرداب .. هل تحركت .هذا حسن .

وكان يرقب بيشو عن كثب وهو يقول ذلك ، فلما رآه يهم باخراج مسدسه

وثب عليه ، وأمسك بساعديه ومنعه عن الحركة

ووقف الآخرون يشهدون هذا المنظر العجيب بفضول لا حد له

وهتف دنريس

- لا تهدر دماً يا عزيزى بيشو .. كن رجلا مسالما مثل صديقك لوبين . هل دخلت فى الثغرة التى تكشفت عنها اللوحة يا فاجيرو ؟ هذا حسن . وداعا يا بيشو .

وترك ساعدى بيشو ووثب الى الثغرة بسرعة .. وأعاد اللوحة الى موضعها ووقف بيشو مترددا لحظة وهو مشدوه ثم انطلق يعدو الى الخارج

وأسرع الكونت والكونتس وأرليت الى النافذة ، وأطلوا منها ورأوا بيشو يجمع رجاله ويسرع الى نهاية الشارع .. وهتفت أرليت فى قلق

- هل تظن انهم يقبضون عليه يا كونت ؟

وعندئذ أجابها صوت طروب .

- هذا مستحيل .

تحول القوم ونظروا وراءهم فرأوا دنريس وفاجيرو يخرجان من الثغرة التى تواريا فيها .. وقال دنريس ضاحكا

- مسكين بيشو .. لا يوجد فى هذا القصر فخ على الاطلاق .. ولا يوجد أى منفذ سرى .. أما هذه الثغرة فتؤدى الى مخبأ سرى صغير لا يكاد يتسع لأكثر من ثلاثة أشخاص . ولكن بيشو رجل سريع التصديق ، بطئ التفكير .. ويحسب الانسان ان يتحدث إليه بلهجة الثقة لكى يصدقه . والآن يا أنطوان ، أنا واثق أن بيشو ورجاله قد انطلقوا الى الاصطبل الكائن فى نهاية الشارع ، ورابطوا هناك فى انتظار خروجنا من السرداب

مزعوم ، فالفرصة اذن سانحة للفرار . هلم بنا .

وكان يتكلم بهدوء عجيب .. فمد اليه الكونت يده وهو يقول :

– ألست بحاجة الى شيء يا سيدى .

– شكرا لك يا سيدى الكونت .. ان طريق الفرار ممهد أمامنا .

واحنى دنريس قامته للكونتس باحترام فمدت إليه يدها بدورها وهى تقول

– ليس فى استطاعتى أن أفيك حقك من الشكر يا سيدى .. انك فعلت من أجلنا الكثير ، وأنقذت شرف أسرتنا .

قال دنريس :

– الى اللقاء يا أرليت .. انها سوف تكتب إليك بعنوان " انطوان فاجيرو " صراف ببونس ايرس .

وأخرج من درج إحدى الطاولات علبة من الورق المقوى لم يذكر عنها كلمة واحدة ، ثم ودع القوم للمرة الأخيرة ، وخرج من الغرفة ، يتبعه فاجيرو

كان الطريق خلوا أمامهما ، وقد وجدا سيارة البوليس وفيها دومينيك ولورنسا مشدودوا الوثاق ، وقد وقف فان هوبن بالقرب منهما ومسدسه فى يده .

وصاح دنريس محدثاً فان هوبن :

– لقد انتصرنا .. وجدنا فى القصر شريكاً آخر كان هو الذى استولى على المجوهرات ، قد انطلق بيشو ورجاله فى أثره .

– وأين المجوهرات ؟

– لقد وجدها فاجيرو وها هى .

ومد إليه يده بالعلبة فهتف فان هوين

– يا الهى ! مجوهراتى فى هذه العلبة ؟

– نعم ، ولكن يجب قبل كل شيء أن تتعاون معى على إنقاذ انطوان ذلك هو الشرط الأساسى لرد مجوهراتك إليك .. ليس عليك إلا أن تنطلق بنا بسيارتك باسرع ما تستطيع الى الحدود البلجيكية .

– ليكن ذلك .

وتناول العلبة من دنريس ، ووضعها فى جيبه .. فقال دنريس

– حسناً .. ولكن يجب أن تنطلق بسرعة مائة كيلو فى الساعة ، فاذا لم نمر من الحدود قبل أن تبرق إدارة البوليس الى مركز حراسة الحدود البلجيكية فاننى استرد المجوهرات .. ها أنذا قد أنذرتك .

فانطلق فان هوين بالسيارة بسرعة البرق . وقد صرفه خوفه على المجوهرات وتأثير دنريس عليه من التفكير أو الاهتمام بشيء آخر غير الأحتفاظ بأقصى سرعة السيارة . فبلغوا الحدود بعد منتصف الليل بقليل .

قال دنريس .

– قف بالسيارة على بعد مائة متر من نقطة الجمرك .. سأرافق فاجيرو الى الحدود ، ثم أرجع إليك بعد نصف ساعة على الأكثر لتعود بى الى باريس .

وانتظر فان هوين نصف ساعة .. ثم ساعة .. وأخيرا داخله الشك فجأة فبحث فى جيبه عن العلبة وفتحها بأصابع ترتجف ، ولكنه لم يجد بها غير بعض قطع من البللور .

وعاد فان هوين الى باريس بسرعة البرق ، فوصل إليها فى الصباح ، وعلم من الصحف وهو فى طريقه الى بيشو ان دومينيك شنق نفسه وان ابنته انتحرت بالسم .

١٣ الخـــاتمـــة

لا يزال الناس يذكرون الانفعال الكبير الذى واكب ذلك الانتحار المزدوج والذى انهى الأحداث المفجعة التى أثارت الاهتمام والفضول ، فقد كان انتحار دومينيك وابنته حاتمة لقضية شغلت الرأى العام أسابيع ونهاية لسر ظل خافياً خلال السنوات المائة الأخيرة ، ونهاية كذلك لعذاب طويل فرضته الأقدار على أسرة ميلامار .

ومع ذلك فان الشيء غير المتوقع والطبيعى فى نفس الوقت هو أن المفتش بيشو لم يجن فى ذلك اليوم الثمرة الأدبية والمهنية التى كان يجب أن يجنيها ، لأنها كانت من نصيب جان دنريس ، أى أرسين لوبين ، لأن البوليس والجرائد لم يريا إلا شخص واحد تحت الاسمين ، وبذلك أصبح لوبين على الفور البطل العظيم فى تلك المغامرة ، فهو الذى كشف عن السر التاريخى ، وهو الذى أماط اللثام عن قصة فالنيرى ، وأنقذ آل ميلامار وسلم الجناة .

واقتصرت صفة بيشو على دور كومبارس وتابع أحمق خدعه لوبين ، ومكنه هو وفان هوبن من الهرب عبر الحدود البلجيكية .

ولكن الشيء الذى اختلقه الجمهور ، متجاوزاً بذلك الصحافة والبوليس ،

هو أنه نسب اختفاء المجوهرات إلى أرسين لوبين على الفور ، فما دام لوبين قد فعل كل شيء وأعد كل شيء ، وأفلح فى كل شيء ، فقد بدا من الواضح انه استولى على كل شيء .

وبلغ استياء بيشو مداه . وقد كان من الذكاء بحيث اعترف أنه لم يكن بعيد النظر ، ولم يفكر لحظة واحدة فى التهرب من الحقيقة التى ذكرتها الجرائد ، وأسرع الى وعنفه وقال له متهكماً

– ألم أقل لك منذ البداية إن هذا الشيطان سيجد مجوهراتك ، وانك لن تراها أبداً . لن يكون لكل مجهوداتنا أية فائدة ، كما هى العادة . فهو يعمل مع البوليس ، فيقدمون له كل المساعدات ويفتحون له كل الأبواب وفى النهاية .. عندما يصلون الى الهدف " بفضله " واعترف بهذا ، يتملص ويهرب بالغنيمة .

قال فان هوبن ، وكان قد وقع فريسة المرض ولزم الفراش

– ضاعت مجوهراتى اذن ؟ .. ألا فائدة من البحث عنها ؟

أقر بيشو بفشله ، وقال فى تواضع لا يخلو من النبل

– يجب أن تستسلم للواقع .. لا يمكن عمل أى شيء مع هذا الرجل ، فانه يملك وسائل عجيبة وطاقة لا تنفذ تتيحان له تنفيذ خططه بكل سهولة . وأن الطريقة التى فرض على بها وجود منفذ سرى فى بيت آل مارتان ، والتى تمكن من إخراجى من ناحية لكى يخرج هو من الناحية الأخرى ، ويداه فى جيوبه ، إنما تدل على عبقرية . ان النضال مع هذا الرجل حماقة ، ومن ناحيتي أنا فانى اتخلى عنه .

صاح فان هوبن وهو يجلس نصف جلسة فى فراشه

آما آنا فلا

قال بيشو

- كلمة واحدة يا سيد فان هوبن . هل أفلست بسبب ضياع مجوهرات ؟

أجاب الآخر

- كلا .

- اقنع اذن بما تبقى لك ، وصدقنى ، لا تفكر بعد فى مجوهراتك ، فانك ن تراها أبداً .

- أتخلى عن مجوهراتى ؟ .. لن أراها أبداً ؟ .. ولكن هذا فظيع .. ان بوليس يجرى ويتابع أبحاثه .

- بدون حماس .

- وأنت ؟

- اننى نفضت يدى .. وسيحفظ قاضى التحقيق القضية .

- هذا فظيع .. بأى حق ؟

- ان آل مارتان ماتوا . وليست هناك أية تهمة ضد فاجيرو .

- ابحثوا عن لوبين إذن

- اننا لن نقف له على أثر

- راقبوا أرليت ، فلوبين مغرم بها ، ولابد أن يظهر

- خطر لنا ذلك ولكن أرليت هربت والمفروض انها لحقت بلوبين فى خارج

صاح فان هوبن

- ياللشيطان ! ما هذا النحس !

***

لم تهرب أرليت ، وإنما اعتكفت فى شاليه على ضفاف نهر السين ، عرضته ريجينى أوبرى عليها لكى تقيم فيه ريثما تهدأ الضجة التى أحاطت بتلك القضية .

وعاشت فى ذلك الشاليه أسبوعين هادئين استعادت فيهما نشاطها وهدوءها ولونها تحت شمس يوليه الساطعة ، وأقام على خدمتها بعض الخدم المخلصين ولم تخرج من الحديقة أبداً واستسلمت لأحلامها وهى تجلس على شاطئ النهر ، تحت أشجار الزيزفون .

وكانت بعض القوارب تمر أمامها وفيها بعض العشاق . وكانت ترى كل يوم تقريباً فلاحاً مسناً يرسو بقاربه على مقربة ، بين الصخور ، وكانت تتحدث معه وهى تتابع بعينيها السنارة وهى تتحرك بين الأمواج الصغيرة ، أو تنظر الى وجهه تحت قبعته القش العريضة ، وإلى انفه المعقوف ، وذقنه الكثيفة الشعر .

وفيما هى تقترب منه ذات مساء ، أشار إليها أن تلزم الصمت . فجلست بجوار القارب فى هدوء .. وكانت السنارة تتحرك ذات اليمين وذات الشمال مما يدل على أن سمكة تحاول أن تأكل الطعم . ولكن لا ريب انها أحست بالخطر ، لأن السنارة لم تلبث ان استعادت هدوءها ، وقالت أرليت

- لاحظ لك اليوم .. فانت لم توفق حتى الآن .

ولكنه تمتم قائلا :

بل انني وفقت واصطدت صيدا عظيما يا انسة

عادت أرليت تقول

– ومع ذلك فانني أرى السلة فارغة ، وهذا يدل على أنك لم تصد شيئاً !

– بل اصطدت فتاة جميلة جداً تدعى أرليت .

لم تفهم شيئا في بادئ الأمر ، ولكنها لم تلبث أن توترت وقد فهمت فجأة لم يكن الرجل غير جان دنريس . ولا ريب أنه تفاهم مع الفلاح العجوز ، وطلب أن يأخذ مكانه . وتملكها الفزع وقالت

– أنت .. أنت .. أرحل . أرجوك أن ترحل .

خلع قبعته القش العريضة التي تغطي رأسه وقال

– ولكن لماذا تريدين أن أرحل يا أرليت ؟

– انني خائفة .. أتوسل إليك .

– ومم تخافين ؟

– من الناس الذين يبحثون عنك . ومن الناس الذين يحومون حول بيتي بباريس .

– ألهذا السبب أختفيت إذن ؟

– نعم .. انني خائفة .. لا أريد أن تقع في الكمين بسببي .. ارحل .

كان الحزن يعصف بها .. وأخذت يده وقد اغرورقت عيناها بالدموع . وعندئذ قال لها في رفق :

– اطمئني .. لقد خاب أملهم في العثور علي بحيث انهم كفوا عن البحث عني .

– ولكنهم سيجدونك عندى .

– ولماذا يجدونني عندك .

– لأنهم يعرفون .

واصطبغ وجهها ، فقال متمماً عبارتها :

– لأنهم يعرفون اننى أحبك ، وأننى لا أستطيع العيش دون أن أراك . أليس كذلك ؟

ارتدت فى مقعدها الى الخلف ، ولم تشعر بالخوف ، فقد طمأنها هدوء جان ، وقالت :

– اسكت .. لا تقل مثل هذه الأشياء ، وإلا اضطررت الى الانصراف .

ونظر كل منهما الى الآخر . وقالت أخيرا فى شىء من التوتر :

– لماذا أتيت ؟

– لكى أراك .

– ولكننى واثقة أن هناك أسباب أخرى .

– حسنا .. نعم .. هناك أسباب أخرى .. فاننى وقد كشفت القناع عن فاجيرو ، حطمت كل خططك ومشاريعك الشجاعة لأعمال الخير التى تريدين القيام بها ، ورأيت أن من واجبى أن أتيح لك الوسائل لكى تمضى فى مشاريعك قدماً .

راحت تصغى إليه فى شرود وسألته أخيراً :

– أنت الذى أخذت المجوهرات ، أليس كذلك ؟

قال وهو يبتسم ابتسامة خفيفة :

نعم . انني عثرت عليها في التحفه في الليله السابقة واثرت أن لا يعرف أحد ذلك لكي تلتصق التهمه بآل مارسار ولم اكن أعتقد أن الجمهور سيحمس هذه الحقيقة التي تبغضيها يا أرليت

قالت الفتاة

- ولكنك ستعيد هذه المجوهرات ؟

- لمن ؟

- لفان هوبن

- كلا . فقد سرقها من رجل يهودى مسن ، فى تركيا منذ بضع سنوات وقد مات ذلك اليهودى وليس له أى قريب أو وريث .

- بحيث انك تحتفظ بها فى النهاية ؟

عجب ! .. أليس لى فيها بعض الحق ؟

ولكنه لم يلبث أن أردف قائلا

- اننى لم أبحث فى هذه القضية يا أرليت إلا عن الحقيقة ، ولم أعمل إلا لإنقاذ آل ميلامار وضياع انطوان ، فقد أردت أبعاده عنك .. أما عن المجوهرات فسوف تستخدمينها فى مشاريعك وكل أعمال الخير التى سوف تضطلعين بها .

هزت رأسها وقالت

- كلا . لا أريد ذلك ، لأننى أتخلى الآن عن كل طموحاتى ، فقد فكرت وترويت ورأيت اننى قد تسرعت بعد أن أثملتنى بعض النجاحات الصغيرة ، حتى انه خيل لى انه ليس أمامى إلا خطوة واحدة للوصول الى ما أريد .

– ولماذا غيرت رأيك ؟

– لأننى مازلت صغيرة جداً وأفتقر الى الخبرة . يجب أن أجد وأن أعمل اولا ، فمن كان فى مثل سنى لا حق له فى ..

اقترب جان منها وقال :

– اذا كنت ترفضين فذلك لأنك لا تريدين هذا المال ، ولأنك تلومينني ، أليس كذلك ؟ .. وأنت على حق ، فأنك على قدر كبير من الاستقامة بحيث لا تقبلين القيام بمشروع بحصيلة السرقة ، ولأنك لا تحبين بعض الأمور التى تقال عنى .. والتى لم أكذبها .

أسرعت تقول :

– لا تكذبها أرجوك .. أننى لا أعرف شيئاً ، ولا أريد أن أعرف شيئاً .

– ألا تريدين أن تعرفى من أنا ؟

– أعرف من أنت يا جان .

– ومن أنا ؟

– أنت الرجل الذى أعادنى الى بيتى ذات مساء ، وقبلنى على وجنتى ، برفق بحيث اننى لم أنس ذلك .

قال دنريس فى انفعال :

– ماذا تقولين يا أرليت ؟

اصطبغ كل وجهها من جديد وقالت من غير ان تخفض عينيها :

– أقول ما لا أستطيع خفاءه ، وما يسيطر على كل حياتى ، ولا يخجلنى الاعتراف به .. أنت جان ، والباقى لا يهمنى .

- اذن فأنت تحبينني يا أرليت ؟ .. ولكن لماذا لم تعترفي لي بذلك ؟

- نعم .. انني أحبك ، ولكنني لم أكن أثق بك ، فقد رأيتك تعامل ريجيني بكل رقة ورفق ، وكنت شديدة الغيرة منها ولزمت الصمت عن كبرياء وشجن

صاح :

- ولكنني لم أحب ريجيني أبداً .

- كنت أعتقد انك تحبها ، وقد أشقاني ذلك بحيث قبلت عروض أنطوان فاجيرو .. غماً وغضباً .. ثم أنه كان يروي لي أكاذيب عنك وعن ريجيني . ولكنني لم ألبث أن أدركت اكثر من مرة انك تحبني أنا ، وأن كل ما تبذله من جهد انما كان في سبيلي أنا ، ولانقاذي من أنطوان .. ولكن الأحداث كانت أقوى مني ، وراحت تبعدني عنك .

ازداد انفعال جان إزاء هذه الاعترافات ، وقال في رفق :

- انني أشعر بالخوف الآن يا أرليت .

- وممَ تخاف يا جان ؟

- اخاف من سعادتي ، وأخاف ان لا أسعدك يا أرليت .

- ولماذا لا أكون سعيدة ؟

- لأنني لا أستطيع أن أقدم لك شيئاً جديراً بك يا عزيزتي أرليت .

وأردف في صوت خافت :

- فلا يتزوج أمثال دنريس أو أمثال بارنيت ولا ..

وضعت يدها في فمه . لم تشأ أن تسمع اسم أرسين لوبين . وازعجها اسم بارنيت ، وربما ازعجها اسم دنريس هو الآخر .. لم يكن بالنسبة لها

اكثر من جان . وقالت .

- وأمثال أرليت مازول لا يتزوجن .

- بل يتزوجن ، فأنت أجمل مخلوقة .. وليس لى الحق فى أن أضيع حياتك .

- انك لا تضيع حياتى يا جان . . كل ما أريده منك بضع أسابيع .. شهرين أو ثلاثة شهور من حياتك ، ومن الحرية فى الهواء الطلق .. هل يمكن هذا ؟ صديقان يرتحلان ويتنقلان معا فى بلاد جميلة .. وعندماتنتهى أجازتى أعود الى العمل .. اننى بحاجة الى هذه الأجازة .. ولكننى أراك لا تضحك يا جان .. والحق أن ما أطلبه منك غير معقول ، فأنك لا يمكن أن تضيع حياتك فى قضاء بضعة أيام معى كصديق مخلص وفى .

شحب وجه دنريس ، وراح يتأمل شفتى الفتاة الرطبتين ووجنتيها المتوردتين .. هل لابد له أن يتخلى عن حلاوة الأمل .. رأى فى عينى أرليت ذلك الحلم الجميل لصداقة افلاطونية طاهرة ، وهو ما لا يمكن تحقيقه بين عاشقين .. ولكنه أحس أيضاً أنها لا تريد أن تفكر ولا أن تعرف فيم ترتبط وبدت له صادقة وساذجة فى طلبها بحيث أنه لم يحاول أن يزيل الحجب الغامضة لذلك المستقبل القريب .

وقالت له :

- فيم تفكر يا جان ؟

- فى شيئين .. أولهما فى تلك المجوهرات .. سأعيدها الى بيشو لكى يسترد اعتباره ، فأننى أدين له بذلك .

- والشىء الثانى ؟

- هو مشكلة محيفة يا آرليت تتعلق برحلتنا

- ماذا تقول ؟ .. اتكون هذه الرحلة مستحيلة ؟

- كلا . ولكننى أتساءل كيف يتصرف كل منا . أرى نفسى مرتدياً ثياباً رياضية وقبعة من القش ، وأراك أنت يا أرليت فى ثوب كلوش من القطن .

نظرت اليه ، فى شىء من الخبث ، ونظر اليها هو الآخر فى شىء من الخبث ، ثم ضحكا معا وتعانقا .

***

(تمت)

سلسلة أرسين لوبين

أروع الألغاز البوليسية



مكتبة معروف

الإسكندرية : ٤٨١٠٨٢٨/ ٤٨٤٦١٢٥ فاكس ٤٨٦٠٠٨٩

القاهرة : ٣٦١١٢٢٩ ص.ب ٢٧٠ الإسكندرية

بالمملكة العربية السع

مكتبة دار الشعب

ت : ٤١١١٢٠٧ الرياض

marouf@intouch.com